



"جيتا نجالى"

شعر ونثر

"وترجمه من البنغالية إلى الإنجليزية"

رابندرانث طاغور

مع مقدمة لـ: و. ب. ييتس
ترجمة وتقديم: طلبية خميس



1195





قرابين الغناء

المركز القومى للترجمة
المشروع القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

سلسلة: الشعر
المشرف على السلسلة: فاطمة قنديل
- العدد: ١١٩٥
- قرابين الغناء
- رابندرانث طاغور
- و. ب. ييتس
- ظبية خميس
- الطبعة الأولى: ٢٠٠٨

هذه ترجمة لكتاب:

Gitanjali

By: Rabindranth Tagore

A collection of Prose translations made by the
author from the original Bangali
With an introduction by: W.B. Yeats

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ – ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524-2735426 Fax: 27354554

قرابين الغناء

"جيتانجالى"

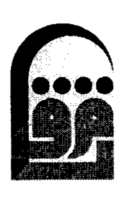
شعر ونثر

"وترجمه من البنغالية إلى الإنجليزية"

رابندرانث طاغور

مع مقدمة لـــ: و. ب. ييتس

ترجمة وتقديم: ظبية خميس



٢٠٠٨

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

طاغور ، رابندرانث

قرابين الغناء/تأليف : رابندرانث طاغور ؛ تقديم : ويليم بتلر ييتس ؛

ترجمة : ظبية خميس - القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠٠٨

١١٦ ص ؛ ٢٠ سم - (المشروع القومى للترجمة ، سلسلة الشعر)

١ - الشعر البنغالى .

٢ - البنغالية (آداب اللغة) .

(أ) ييتس ، ويليم بتلر (مقدم) .

(ب) خميس ، ظبية (مترجم) .

(جـ) العنوان .

(د) السلسلة ٨٩١,٤٤

رقم الإيداع ٢٠٠٨/٥٠٣٧

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 437 - 659 - 5

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

مقدمة المترجمة

من لغة السحاب والأرض ينبثق طاغور، ملهمًا أو ملهما. يشبه طين بلاده، ويشبه ندف السماء، وصوته جلى لكل روح وكلماته تواضع المحبة فى هذا الكون. هنالك بشر للعالم أجمع، وطاغور هو أحدهم. إنه المغنى العاشق لنور الله، للإنسان، للطبيعة وكائناتها. يطرق السمع لموسيقى الكون، ويترقرق شعره لجمال وبؤس الإنسان. وكتابه هذا الذى أترجمه وأقدمه للقارئ العربى اليوم هو صلاة طويلة بعنوان "قرابين الغناء". إنه كتاب تأمل، وحكمة زاهد، وشعر عابد. نص يسعى إلى الصفاء والمصافاة ويأخذ معه قارئه إلى ذلك الطريق. ترجمه بنفسه من اللغة البنغالية إلى اللغة الإنجليزية، وحاز على جائزة نوبل للآداب بسبب هذا الكتاب الذى ما زال يرنم ويغنى فى أنحاء الهند بمختلف لهجاتها. ورغم الكلمات فإن قرابين الغناء هو كتاب من كتب الصمت الجليل. إنه همس، وإشارات، وظل من ظلال الروح.

عن الحب المقدس يتحدث طاغور، عن حب الله للفقراء، والتعاسى، والمحزونين والبؤساء. إنه يرى نورالله حيث يوجد العمال، والفلاحون والناس البسطاء. ويرى بركته بين قطرات عرقهم ودموعهم. إنه يتحدث عن البساطة الخالصة وعن الرحمة وعن العبادة الصامتة.

يقول طاغور: "إننى فى انتظار الحب فقط، لكى أسلم نفسى إلى يديه". يبحث عنه وينتظره على قارعة الطريق، ووراء الجدران، وداخل روحه فى الليل والنهار مثل شحاذ لا يكل ولا يمل ولا يتعب من أمل اللقاء بذلك النور. عن العذوبة المكتملة يبحث طاغور فى رحلة الحب وعن الرؤية التى تضيع وتأتى دون أن ينتبه إليها فتتصاعد زفرات حسرته. يقول:

"إذا لم أدعوك فى صلواتي، إذا لم أحتفظ بك فى قلبى يبقى حبك لى منتظرًا رد حبى لك".

فى لغة طاغور تنطق لغة الهند بأمطارها وسيولها، بطينها وأنهارها، بحرارتها المحرقة وعذوبة نورها، يصبح المطر لغة والطين لغة والشجر لغة والليل والنهار لغة فى كلمات طاغور.

خلال إقامتى فى الهند فى عام ٢٠٠٤، عثرت على كتيب مكسوٍ بالغبار والنسيان فى مكتبة بعثة الجامعة العربية هناك، التى كانت مهملة يحفها النسيان، وما كان ذلك الكتاب إلا نسخة قديمة لقرابين الغناء الذى صدر للمرة الأولى فى عام ١٩١٣ فى لندن، وقدم له الشاعر دبليو – بتلر – ييتس بدهشة وإعجاب، ونال جائزة نوبل فى العام نفسه. أما النسخة التى عثرث عليها فقد كانت طبعة عام ١٩٥٩ من دار النشر نفسها التى نشرت أول طبعة. وعندما غادرت الهند لم تغادرني، بقى حنينى لها ولكنه حنين غريب: حنين للفجر

والأشجار وأصوات العصافير، للقردة التى تتجوّل بحرية فى ديلهي، للأفيال التى يجلس عليها قادة المعابد والرهبان، للغربان وهى تحتل شجرة أمام بيتى هناك، لعصف المطر والبرد القاسى والحر الشديد. كان شوقي، ولا يزال، للخرائب والمعابد وأصوات الغناء الصوفى لديهم، لأطواق الورد والفل على قارعة الطريق، ولبخور معابدهم.

وفى قراءتى لكتاب طاغور حضرنى ذلك كله فكنت أترجمه وأعيشه وأحيا الهند بداخلى من جديد.

ولد رابندرانث طاغور فى مدينة كالكاتا فى شرق الهند لعائلة بنغالية ثرية من طبقة البراهما النبيلة فى الهند فى عام ١٨٦١ يوم ٧مايو، وتوفى فى عام ١٩٤١ فى يوم ٧ أغسطس. وقد كان شاعرًا، وروائيًا، وموسيقيًا، ورسامًا، وكان أول أديب من قارة آسيا يفوز بجائزة نوبل فى عام ١٩١٣. وقد كان طاغور أصغر إخوته الذين بلغ عددهم ١٤ أخًا وأختًا، وتلقى تعليمه فى البيت، وكتب مبكرًا؛ حيث نشر أول أعماله فى عام ١٨٧٧. انتقل إلى بريطانيا لدراسة القانون فى عام ١٨٧٨ غير أنه عاد إلى البنغال دون شهادة فى عام ١٨٨٠.

وفى الهند تابع مسيرته كشاعر وكاتب وموسيقى ومعلم، وأسس لمدارس ومراكز روحية عديدة، وقد اشتهر آنذاك فى الهند غير أنه لم يكن معروفًا فى العالم. وفى عام ١٩١٢ قرر فجأة العودة إلى بريطانيا لأول مرة منذ قد غادرها وكان فى عامه الواحد

والخمسين، وكان معه أحد أبنائه. وفى الطريق إلى بريطانيا بدأ الترجمة إلى الإنجليزية لأول مرة لآخر أعماله آنذاك "قرابين الغناء". كتبها بخط يده فى دفتر صغير كان يحمله فى جيبه معه، وعند وصولهما إلى لندن نسى ابنه حقيبة أبيه التى تحتوى ذلك الدفتر الصغير فى محطة لقطار الأنفاق. ومن حسن الحظ أن أحدهم عثر على تلك الحقيبة وأعادها فى اليوم التالى. وقد اطلع على ذلك الدفتر أحد أصدقاء طاغور من الرسامين فى لندن، وانبهر بما قد رأته عيناه فاتصل بصديقه الشاعر و.ب.ييتس وأقنعه بقراءة ذلك الدفتر المخربش عليه بخط اليد. وقد انبهر ييتس بما قد قرأ، وكتب فيما بعد مقدمته الشهيرة لكتاب "قرابين الغناء"، الذى طبع فى طبعة محدودة فى عام ١٩١٢. ومن ثم فإن الشهرة الساحقة تحققت للشاعر طاغور وكتابه فورًا بعد ذلك النشر فى الأوساط الأدبية الإنجليزية فى لندن.

وكان ذلك الحدث بوابة أولى للكشف عن روعة الهند وعمقها الروحى بالنسبة إلى الغرب. وتلا ذلك فوزه بجائزة نوبل فى عام ١٩١٣، وأخذته شهرته ليحاضر ويقرأ ويتحدث حول العالم. وفى عام ١٩١٥ تم منحه رتبة فارس من قبل الملك جورج الخامس، وقد تخلى طاغور عن ذلك الوسام والرتبة فى عام ١٩١٩ بعد مذبحة أمريستار التى راح ضحيتها ٤٠٠ هندى من المتظاهرين على يد السلطات البريطانية للاحتلال فى الهند. وبالرغم من صداقة طاغور لغاندى إلا أنه كرس نفسه للتعليم وإنشاء المدارس وتنوير عقول النشء الجديد.

لقد كتب طاغور أكثر من ألف قصيدة، وثمانية أجزاء من القصص القصيرة، وأربعًا وعشرين مسرحية، وثماني روايات، والكثير من الكتب الأخرى في المواضيع التعليمية والاجتماعية.

كما أنه قد ألف أكثر من ألفين أغنية بنغالية وأصبحت اثنتان منهما النشيد الوطني لكل من الهند وبنغلاديش. وفي عام ١٩٢٩ بدأ الرسم ولوحاته موجودة في الكثير من المتاحف.

لقد كان طاغور عبقريًا في موهبته وإنسانيته، معًا.

ظبية خميس

١٥ نوفمبر ٢٠٠٦



تقديم

ويليم بتلر ييتس

منذ أيام قليلة مضت قلت لطبيب بنغالى قدير، "أنا لا أعرف الألمانية، غير أنه لو أن ترجمة لشاعر ألمانى قد أثرت في، فلسوف أذهب إلى المتحف البريطانى وأعثر على كتب الإنجليزية لأتعرف على حياته، وتاريخ أفكاره. وبالرغم من أن هذه الترجمة لأشعار رابندرانث طاغور قد حركت دمائى كما لم يحدث من قبل منذ سنين، فإننى لن أعرف أى شىء عن حياته، وعن حركات الفكر التى ولدتها، إذا لم يحدثنى رحالة هندى، ما، عنها". وقد بدا له أنه من الطبيعى أن أتأثر، ذلك أنه قال، "إننى أقرأ رابندرانث كل يوم، أن تقرأ سطرًا واحدًا له يجعلك تنسى كل هموم هذا العالم". قلت، "إن رجلاً إنجليزيًا يعيش فى لندن فى فترة حكم ريتشارد الثانى لو رأى ترجمات لبيترارش أو دانتى ما كان ليجد كتبًا لتجيب على أسئلته، غير أنه كان سيمضى ليستفسر من مصرفى من فلورانس أو تاجر من لومبارد مثلما أستفسر أنا منك. كل ما أعرفه أن هذا الشعر بسيط جدًا وفياض، إن عصر النهضة الجديد قد ولد فى بلادك ولن أستطيع أن أعرف عنه إلا من خلال سردك لى عنه". أجابنى قائلاً، "إن لدينا شعراء آخرين، لكن لا أحد فى قامته، إننا ندعو هذا عصر رابندرانث. لا يبدو لى أن هنالك شاعرًا فى أوروبا بلغ شهرة طاغور

لدينا. إنه عظيم فى الموسيقى كما هو فى الشعر، وأغانيه تغنى من غرب الهند إلى بورما حيثما تنطق البنغالية. لقد نال شهرته وهو فى التاسعة عشرة من عمره عندما كتب روايته الأولى، ومسرحياته قد كتبت عندما كان أكبر بقليل وما زالت تمسرح فى كالكاتا. إننى معجب أشد الإعجاب باكتمال حياته، عندما كان يافعًا جدًا كتب الكثير حول شؤون الطبيعة، كان يجلس طوال النهار فى حديقته، ومن سن الخامسة والعشرين وحتى الخامسة والثلاثين ربما، عندما كان يعيش حزنه، كتب أجمل قصائد حب فى لغتنا"، ثم قال بانفعال عميق، "إن الكلمات تعجز عن ما أدين له به، وأنا فى سن السابعة عشرة، بسبب قصائده فى الحب. بعد ذلك صار شعره أعمق، أصبح روحيًا وفلسفيًا، إن كل آمال البشرية موجودة فى تسابيحه. لقد كان الأول بين قديسينا ممن لم يرفضوا الحياة، واغترف منها حديثه، ولهذا نمنحه نحن محبتنا". وقد أكون حورت بسبب ذاكرتى كلماته ولكن احتفظت بأفكاره. "منذ فترة قريبة كان من المفترض أن يقرأ فى الخدمة الإلهية فى إحدى كنائسنا – نحن التابعين للبراهما ساماج نستخدم كلمة كنيسة بالإنجليزية – لقد كانت الأضخم فى كالكاتا، ولم تكن فقط مزدحمة، ولكن الناس وقفوا عند النوافذ، والشوارع اكتظت بحيث لا يمكن عبورها".

لقد جاء هنود آخرون ليرونى ومديحهم لهذا الرجل بدا غريبًا فى "عالمنا"، حيث نخفى الأشياء الكبيرة والصغيرة تحت نفس الغشاء

للكوميديا الواضحة والتقدير نصف الجاد. عندما كنا نبنى كاثدرائياتنا هل امتلكنا تقديرًا مماثلاً لرجالنا العظام ؟ " فى كل صباح عند الثالثة – أعرف لأننى قد رأيت ذلك " – أحدهم قال لى، " إنه يجلس ساكنًا بلا حراك للتأمل، ولمدة ساعتين لا يفيق من نشوة حاله حول طبيعة الإله. إن والده المهاريشي، كان يجلس أحيانًا هناك طوال الوقت وحتى اليوم التالي، ذات مرة عند النهر، دخل فى تأملاته بسبب جمال الطبيعة، ومجدفو القوارب انتظروا لمدة ثمانى ساعات قبل أن يواصلوا رحلتهم". ثم أنه أخبرنى حينئذ عن عائلة طاغور وكيف أنه ولأجيال متلاحقة خرج من مهدها رجال عظام. "اليوم"، قال لى، "هنالك جوغنين درانث وآبياندرانث طاغور وهما فنانان، ودويجن درانث أخو لرابندرانث وهو فيلسوف عظيم. إن السناجب تأتى أوكارها لتتسلق إلى ركبته والعصافير تحط على يديه". لقد لاحظت فى أفكار هؤلاء حسًا بالجمال الواضح والمعنى وكأنهم قد تمسكوا بمبدأ نيتشه الذى يقول بأنه لا يتوجب علينا أن نؤمن بالجمال الذهنى أو الأخلاقى الذى لا يقوم عاجلاً أم آجلاً بطبع نفسه على الأشياء الحية. لقد قلت، "فى الشرق تعرفون كيف تحافظون على ألق العائلة. فى ذلك اليوم قام راعى متحف بالإشارة لى إلى رجل ضئيل داكن البشرة كان يرتب رسومهم الصينية وقال " إن هذا هو الوريث لسلسلة من الميكادو، إنه الرابع عشر فى عائلته يحتفظ بهذا المنصب". أجابنى هو، قائلاً، "عندما كان رابندرانث صبيًا كان محاطًا بالكتب

والموسيقى فى بيته". فكرت فى الترف الفياض، فى بساطة الأشعار، وقلت، "فى موطنك هل هنالك الكثير من كتابات البربوغاندا (الدعاية)، الكثير من النقد؟ يتوجب علينا أن نعمل الكثير، خصوصًا فى بلدى، بحيث إن أذهاننا تشحب بالتدريج ويتراجع عنها الإبداع، ورغم ذلك فإننا لا نستطيع عمل شيء إزاء ذلك. إذا لم تكن حياتنا كفاح ومشقة مستمرة، لا نستطيع أن نتذوق، ولن نعرف ما هو جيد، ولن نستطيع العثور على جمهور وقراء. أربعة أخماس طاقتنا مبذولة فى انتعاش مع الذوق السيئ، سواء فى عقولنا أو فى عقول الآخرين". "إننى أفهم ذلك"، أجاب هو، "نحن أيضًا لدينا كتابة الدعاية. فى القرية يتلون قصائد أسطورية طويلة مقتبسة من السنسكريتية فى العصور الوسطى، وغالبًا ما يحشرون فيها مقاطع تقول إن على الناس أن يؤدوا واجباتهم".

لقد حملت مخطوطة هذه الترجمات معى لأيام، قرأتها فى محطات القطار، أو فى أعلى الحافلات وفى المطاعم، وكنت غالبًا ما اضطر إلى إغلاقها خوفًا من أن يلحظ بعض الغرباء مدى تأثيرها على. هذه الأشعار – التى فى لغتها الأصلية، كما يقول لى معارفى من الهنود مليئة بالإيقاع الرهيف، وبحفنة من الألوان التى لا يمكن ترجمتها، وبالإبداع فى الأوزان – التى تعرض فى أفكارها عالمًا حلمت به طوال عمرى. إنه نتاج حضارة راقية، غير أنه يبدو سلسًا مثل النبت العادى للتربة كالحشيش والبرسيم. تقاليد، حيث الشعر

والدين هما الشيء نفسه، مرت عبر العصور، تجنى ثمار الرموز والعواطف من المتعلمين والأميين، ثم تعود لتحمل من جديد أبعادًا متعددة لفكر الدارسين والنبلاء. إذا بقيت حضارة البنغال متماسكة ولم تتفتت، إذا بقى هذا العقل الجماعى - ساميًا كما هو - يسرى فى الجميع، وليس كما هو الحال لدينا مشتتًا إلى دزينات من العقول التى لا تعرف شيئًا عن بعضها البعض، فإن شيئًا ما من تلك الأشعار سوف تصل، بعد عدة أجيال، إلى حتى الشحاذ فى الشوارع. عندما كان هنالك عقل واحد فى إنجلترا كتب شوسير الثلاثية والصليب، وظن أنه قد كتب ليقرأ، أو ليتلا - حيث كان زمننا قد وصل إلى انعطافه - وقد أنشد له بعض الرهبان لبعض الوقت. رابندرانث طاغور، مثل شوسير من السابقين، يكتب الموسيقى لكلماته والمرء يدرك فى كل لحظة أنه فياض جدًا، وتلقائى للغاية، وجرىء بشدة فى عاطفته، ملىء بالمفاجآت، لأنه كان يقوم بفعل شىء لم يبدُ أبدًا أنه غريب، مستهجن، غير طبيعى أو بحاجة إلى الدفاع عنه والتبرير له. إن هذه الأشعار لن تنام فى كتيبات صغيرة حسنة الطباعة على أرفف طاولات النساء اللواتى يقلبن الصفحات بأيادٍ كسولة ويتنهدن، ربما بسبب حياة خاوية بلا معنى، وتكاد تكون هى كل ما استطعن أن يعرفنه من هذه الدنيا، أو أن يحملها طلاب فى الجامعة ليضعوها جانبًا عندما يبدأ عمل الحياة، لكن بعبور الأجيال، سوف يرنمها الرحالة على الطرق العالية والرجال الذين يجدفون فى الأنهار.

العشاق، وهم ينتظرون بعضهم بعضًا، سوف يجدون، وهم يترنمون بها، حب الله هذا خليج من السحر، حيث يمكن لعواطفهم المرة أن تسبح وأن تجدد شبابها. فى كل لحظة يتدفق قلب هذا الشاعر نحو الخارج صوب أولئك المحبطين والمقهورين، لأنه قد عرف أنهم سوف يفهمون، وقد ملأ نفسه بتلبس ظروف حياتهم. إن المسافر فى أرديته الحمراء – البُنّية التى يرتديها حتى لا يظهر عليها غبار الطريق، والفتاة التى تبحث فى فراشها عن بقايا بتل الورود التى تساقطت من طوق عشيقها الملكي، الخادمة أو العروس التى تنتظر عودة سيدها إلى البيت فى ذلك المنزل الخاوي، كلها صور للقلب وهو يتحول نحو الإله. الأزهار والأنهار، صغير الأصداف والمحار، الأمطار الغزيرة لشهر يوليو، أو الحرارة اللاسعة، إنها صور لأمزجة هذا القلب فى توحده وانفصاماته، ورجل يجلس فى قارب على النهر يعزف على العود، مثل أحد أولئك الشخوص المفعمين بالمعانى الغامضة فى لوحة صينية، هو الإله نفسه. بشر بكاملهم، حضارة بكاملها، غريبون عنا بما لا يقاس، يبدو أنهم قد أخذوا بمثل هذا الخيال، ومع ذلك لم نتأثر بسبب غرابة ذلك، ولكن لأننا قد قابلنا صورتنا ذاتها كما لو أننا قد تجولنا فى غابات روسيتى من أشجار الصفصاف، أو سمعنا، ربما لأول مرة فى الأدب، صوتنا كما لو أنه فى حلم.

منذ زمن عصر النهضة، فإن كتابات القديسين الأوروبيين - مهما كانت رموزهم مألوفة لنا وكذلك البناء العام لأفكارهم - قد فقدت قدرتها على جذب انتباهنا. نحن ندرك أن علينا فى النهاية أن نترك هذا العالم، ونحن معتادون فى أوقات المحن أو التسامى أن نختار التخلى عنه وهجره، ولكن كيف يمكن لنا نحن، الذين قرأنا الكثير من الشعر، وشاهدنا الكثير من اللوحات، وأصغينا إلى الكثير من الموسيقى، حيث صرخة اللحم وصرخة الروح تبدو واحدة، كيف يمكن لنا أن نهجره بوحشية ووقاحة؟ ما ذلك المشترك الذى نملكه مع القديس سانت بيرنارد الذى كان يغطى عينيه خوفًا من أن تغرق فى تأمل جمال البحيرات فى أراضى سويسرا، أو مع تلك العبارات العنيفة فى كتاب الكشوف؟ سوف نجد، من الممكن، كما فى هذا الكتاب، كلمات تمتلئ بالتهذيب. لقد أذن لى بالانصراف. ودعونى وادع ولى يا أخوتى! إننى أنحنى لكم جميعًا وأستأذن فى الانصراف.

ها أنا أعيد مفاتيح بابى - وأتخلى عن كل حقوقى فى بيتى. إننى أطمع فقط، فى بعض الكلمات الطيبة منكم. لقد كنا جيرانًا لزمن طويل، غير أننى أخذت أكثر مما أعطيت. الآن اليوم قد حان والقنديل الذى أضاء زاويتى المعتمة قد انطفأ. لقد وصل الاستدعاء وأنا جاهز لرحلتى. وهو مزاجنا نحن، عندما يزيد على ذلك أ. كيمبيس أوجون الصليب صارخًا، "ولأننى أحب هذه الحياة، فإننى سوف أحب الموت، أيضًا". غير أنه ليس فقط فى أفكارنا حول الفراق يتفوق هذا الكتاب

عليهم جميعًا" لم نكن نعرف أننا أحببنا الله، أو ربما بصعوبة آمنا به، غير أننا عندما نقلب النظر فى ماضى حياتنا نكتشف، عبر تجوالنا فى دروب الغابة، فى متعتنا التى نتخذها فى الأماكن المنزوية على التلال، فى ذلك الادعاء الغامض الذى صنعناه، دون هوادة، فى ملكيتنا النساء اللواتى عشقناهن، هذه العاطفة التى تخلق العذوبة الباطنية. "مقتحمًا قلبى غير مدعو إليه مثل واحد من أفراد الحشود العاديين، ومجهولاً بالنسبة إلي، يا ملكي، أنت قد طبعت توقيع الأبدية على كثير من اللحظات الهاربة". هذه لم تعد بعد ذلك طهارة الخلوة أو الكارثة، بل تصبح، كما قد كانت، ارتفاعًا أقصى لتركيز أشد لمزاج الرسام، الذى يرسم الغبار ونور الشمس، ونذهب إلى صوت شبيه للقديس سانت فرانسيس وإلى وليم بليك الذى يبدو مغتربًا جدًا فى تاريخنا العنيف.

إننا نكتب كتبًا طويلة حيث لا صفحة فيها – ربما – تملك أية خصوصية لتجعل الكتابة لذة ممتعة، مطمئنين إلى تصميم عام، مثلما نفعل عندما نتشاجر ونصنع الأموال ونملأ أدمغتنا بأفكار حول السياسة – كلها أشياء مضجرة بالفعل – فيما السيد طاغور، مثل الحضارة الهندية ذاتها، يمكث مكتفيًا بما قد اكتشفه من الروح ويسلم نفسه لتلقائيتها. إنه، غالبًا، ما يبدو مقارنًا حياته بحياة أولئك الذين يعيشون حياة تشبهنا، ودائمًا بتواضع كما لو كان متأكدًا من أن طريقته هى الأفضل بالنسبة إليه: "الرجال ذاهبون إلى بيوتهم يلقون

بنظرة إليّ ويبتسمون ويملئوننى بالخجل. إننى أجلس مثل شحاذة خادمة، وأسحب تنورتى لأغطى بها وجهي، وعندما يسألوننى ما الذى أطلبه، أخفض عينى ولا أجيبهم". وفى مرة أخرى، متذكرًا كيف أن حياته كان لها شكل آخر فى يوم ما، سوف يقول، "لقد قضيت الساعات الكثيرة أبحث حول الخير والشر، غير أنه الآن فى متعة اللهو فى الأيام الخالية تلك التى تشد قلبى إليه، ولا أفهم الآن ذلك النداء المفاجئ لكل تلك العواقب غير المجدية". إن براءة، وبساطة لا يجدها المرء فى مكان آخر فى الأدب تجعل الطيور وأوراق الشجر تبدو قريبة إليه كما هى قريبة للأطفال، وتحولات الأحداث العظمى بين الفصول أمام أفكارنا قد حالت بيننا وبينهم. فى بعض الأحيان أتساءل إن كان قد حصل على ذلك من أدب البنغال أم من الديانة، وفى أحيان أخرى، متذكرًا الطيور وهى تحط على يدى أخيه، أجد المتعة فى أن أفكر بأن ذلك عاملاً وراثيًا، مسألة غامضة نمت عبر القرون مثل تهذيب لتريستان أو بيلانور. وبالفعل، فإنه عندما يتحدث عن الأطفال، تبدو تلك الميزة وكأنها جزء من روحه، والمرء غير متأكد بأنه لم يكن يتحدث، أيضًا، عن القديسين، "إنهم يبنون بيوتهم من الرمال ويلعبون بالأصداف الخاوية. وبأوراق الشجر الذاوية يبنون قواربهم ومبتسمين يعومونها على العمق الشاسع. إن الأطفال يلعبون على ضفاف بحار العالم. إنهم لا يعرفون كيف يسبحون، ولا كيف يلقون بالشباك. إن صيادى اللؤلؤ يغوصون من أجله، والتجار

يبحرون فى مراكبهم، فيما الأطفال يجمعون الحصى وينثرونه من جديد. إنهم لا يبحثون عن الثروات المختبئة، ولا يعرفون كيف ينصبون الشباك".

دبليو.ب.ييتس

سبتمبر ١٩١٢

(١)

أنت خلقتنى إلى ما لا نهاية، وهكذا هى اللذة. هذا الوعاء الرهيف يفرغ مرة تلو الأخرى، ويمتلئ للأبد بالحياة اليانعة.

هذا الناى من القصب اجتاز التلال والوديان، وتنفس فيها أغانيه الجديدة، دائمًا.

وبلمسة أبدية من يدك يفقد قلبى حدوده فى البهجة ويلد ما لا يوصف من منطوقات.

هذه الهدايا التى لا تحصى تأتينى فقط، فى هذه الأيادى الصغيرة التى هى لى. تمر العصور، وما زلت تمنح، وما زال هنالك مكان ليمتلئ بعطاياك.

(٢)

عندما تأمرنى بالغناء يبدو قلبى وكأنه سينفطر بالكبرياء، وأنظر إلى وجهك لتنهمر من عينى الدموع.

كل ما هو خشن ومنفر فى حياتى يذوب فى لحن عذب – وعشقى يفرد جناحيه مثل طير سعيد فى تحليقه فوق البحار.

أعلم أنك تستعذب غنائى. أعلم أننى ومن خلال كونى منشدًا أقف أمام حضورك. ألامس حافة البعيد بجناح أغنيتى

المرفرف الأقدام التى لا أستطيع أن أصبو إلى لمسها. منتشيًا بفورة الغناء أنسى قدرى وأدعوك بالصـــديق أنت الذى هو سيدى.

(٣)

أجهل كيف تغنى يا سيدى! إننى أصغى دائمًا بدهشة صامتة.

إن نور موسيقاك يضىء الكون. الحياة تتنفس لحنك الذى يجرى من سماء إلى سماء. إن الينبوع المقدس للموسيقى يتفجر عبر كل أحجار العثرات ويتدفق مليئًا.

إن قلبى يشتاق لينضم إلى أغنيتك، غير أنه بعناء يجاهد ليجد الصوت. لسوف أتحدث، غير أن الكلام لا يتفجر إلى أغنية، وأصرخ حيرانًا. آه، أنت الذى خلق قلبى أسيرًا بين نغمات موسيقاك، يا سيدى!.

(٤)

يا حياة حياتي، لسوف أحاول، دائمًا، أن أبقى جسدى نقيًا، مدركًا أن لمستك الحية قد مست كل أعضائي.

لسوف أحاول، دومًا، أن أبقى كل ما هو زائف خارج أفكاري، مدركًا أن فنك وهو الحقيقة قد أضاء نور المعرفة في عقلي.

لسوف أحاول، دومًا، أن أطرد كل الشرور من قلبي، وأن أحتفظ بحبى فى وردة، مدركًا أن كرسيك فى حرم عميق فى قلبي.

وسيكون مبتغاى أن أبديك فى كل ما أفعل، مدركًا أنك أنت الذى تمدنى بالقوة كى أعمل.

(٥)

إننى أسألك لحظة من عطفك كى أجلس بقربك. والمشاغل التى لدى سوف أنهيها لاحقًا.

بعيدًا عن رؤية وجهك لا يعرف قلبى الراحة ولا الطمأنينة، وعملى يصبح عناءً بلا جدوى فى بحر من الكد بلا شطآن

اليوم جاء الصيف إلى نافذتى بهمسه وآهاته، والنحل يطن ملاعبًا الفناء ما بين أكمة الزهور.

الآن قد حان الوقت للجلوس بهدوء، وجهًا لوجه معك، وأن أغنى للحياة فى هذه الراحة المتدفقة والصامتة.

(٦)

أقطف هذه الزهرة الصغيرة وخذها، لا تتأخر! أخشى من أن تسقط، وتذوى فى الغبار.

قد لا تجد مكانًا فى طوق الزهر، لكن شرفها بلمسة من الألم من يدك وأقطفها. أننى أخشى أن يعبر اليوم دون أن أنتبه، ويكون وقت عطايا القربان قد مضى.

ورغم أن لونها ليس عميقًا ورائحتها ما زالت خفيفة، ستخدم هذه الوردة فى العبادة وأقطفها طالما لايزال هنالك الوقت.

(٧)

إن أغنيتى أفقدتها الرغبة فى التبرج. لا زهو لديها للبس التزين. سوف تفسد الزينة لقاءنا، سوف تقف بينى وبينك، سوف تطغى دقات الخلاخيل على الهمسات.

إن غرور الشاعر عندى يموت خجلاً أمام رؤيتك. أوه يا سيد الشعر، لقد جلست القرفصاء عند قدميك. فقط أدعوك أن تجعل حياتى بسيطة ومستقيمة، مثل ناى من القصب من أجلك لتملأه بالموسيقى.

(٨)

الطفل المحشور فى ثياب الأمير والمثقل بأغلال المجوهرات حول عنقه يفقد كل المتعة فى اللعب، تعوقه ثيابه عند كل خطوة يخطوها.

خوفًا من أن تسحج أو تتبقع بالتراب يحتجب عن العالم، ويخاف حتى من أن يتحرك.

أيتها الأم، إنه ليس مكسبًا ذلك الأسر من الترف، إذا كان ذلك يمنع المرء من الطين العفى للأرض، إذا كان يسلب الشخص حق الولوج إلى الاحتفال العظيم للحياة العادية للبشر.

(٩)

أوه أيها الأحمق، أن تحاول أن تحمل نفسك فوق كتفيك! أوه أيها الشحاذ، أن تأتى لتشحذ عند باب بيتك!

أترك كل أحمالك بين يديه، هو القادر على حملها كلها، ولا تنظر خلفك، أبدًا، بأى ندم.

إن الرغبة تخمد، حالاً، النور فى القنديل الذى تلامسه بأنفاسها. إنه غير قدسى – لا تأخذ الهدايا من الأيادى الملوثة. تقبل، فقط، ما قد قدم عبر الحب المقدس.

(١٠)

ها هنا هو مسند الأقدام وعليه أرح قدميك حيث يعيش أفقر الفقراء، والمنحطون، والتائهون.

عندما أحاول أن أركع لك فإن سجودى لا يستطيع أن يصل إلى حيث قدميك ترتاح ما بين البؤساء، والوضيعين، المشردين.

إن الكبرياء لا يمكنه أن يصل إلى حيث تتمشى فى ملابس الزهاد ما بين الفقراء، والعامة، والتائهين.

إن قلبى لا يستطيع، أبدًا، أن يجد طريقه إلى حيث صحبك من الوحيدين من البؤساء والوضيعين والمشردين.

(١١)

دع عنك هذا الإنشاد والغناء وأنباء التسابيح! من ذلك الذى تعبده فى هذه الزاوية المعتمة من معبد كل أبوابه مغلقة؟ افتح عينيك لترى أن الإله ليس هناك أمامك!

إنه هناك حيث الفلاح يحرث الأرض الصلبة وحيث معبد الطريق يكسر الحجارة. إنه بمعيتهم تحت الشمس ووابل المطر، وثيابه مغطاة بالعفار. ضع جانبًا رداءك المقدس، وحتى مثله اهبط إلى عفر التراب!

التبليغ؟ أين هو موجود هذا التبليغ؟ إن سيدنا بنفسه أخذ على عاتقه بمتعة خلاص الخليقة، إنه ملتصق بنا جميعًا للأبد.

تعال واخرج من جلساتك للتأمل واترك جانبًا الزهور والبخور! ما الضرر هناك فى أن تتشقق ثيابك وأن تتبقع قليلاً؟ قابله وقف بجانبه عند المحراث وفى صهد العرق بين حاجبيك.

(١٢)

إن الزمن الذى تستغرقه رحلتى طويل ودربه ممتد.

خرجت فى عربتى مع أول ومضة للنور، وتابعت رحلتى فى أدغال العوالم تاركًا ورائى آثارى على الكثير من النجوم والكواكب.

إنه أشد الطرق بعدًا للاقتراب الأكثر إلى نفسك وهذا المران هو الأعقد ليقودك إلى لحن البساطة الخالصة.

على المرتحل أن يطرق على باب كل مجهول لكى يصل إلى بابه، وعلى الشخص أن يجوب خلال كل العوالم الخارجية كى يصل إلى أعمق محج بداخله فى النهاية.

إن عينى تاهتا فى البعيد والشاسع قبل أن أغلقهما وأقول "ها هو أنت!"

والسؤال والصرخة "أواه، أين؟" يذوبان فى دموع آلاف الينابيع وتغرق العالم بسيول التأكيد "أنا!".

(١٣)

إن الأغنية التى أتيت كى أغنيها مازالت لم تغنَ حتى يومنا هذا.

لقد صرفت أيامى أدوزن وأعيد دوزنة أوتار آلتي.

الوقت لم يحن، الكلمات لم تنظم جيدًا، فقط هنالك ألم التمنى فى قلبى.

البرعم لم يتفتح، فقط هى الريح التى تصفر من حولي.

لم أرَ وجهه، ولا استمعت إلى صوته، والشيء الوحيد الذى سمعته كان حفيف خطواته الرقيقة من على الشارع أمام بيتي.

النهار بطوله قد مضى فى مد أريكته على الأرض، غير أن القنديل لم يورّى ولا يمكننى أن أدعوه إلى داخل منزلى.

إننى أحيا على أمل اللقاء به، غير أن هذا اللقاء لم يحن بعد.

(١٤)

إن رغباتى كثيرة وصراخى يدعو للرثاء، ولكنك كنت تحمينى منها برفضك لها، وهذه الرحمة كتبت على حياتى مرات ومرات.

يومًا إثر يوم تهيئنى لكى أكون جديرًا بالعطايا البسيطة والعظيمة التى تهبنى إياها دون سؤال – هذه السماء، والضياء، هذا الجسد والحياة والعقل – حاميًا إياى من خطر الرغبات الطاغية.

هنالك أحيان أتكاسل فيها بوهن، وأحيان أستيقظ فيها على عجل لأبحث عن غايتي، ولكن بقسوة أنت تخبئ نفسك عني.

يومًا بعد الآخر أنت تجعلنى جديرًا بقبولك الكلى عبر رفضك لكل شيء وللاشيء، حاميًا إياى من مخاطر الرغبة الضعيفة والمشكوك فيها.

(١٥)

إننى هنا لأغنى الأغانى. فى هذه الردهة التى هى لك لدى كرسى فى الزاوية.

فى هذا العالم ليس لدى عمل لأعمله، إن حياتى غير المجدية تستطيع فقط أن تتفجر بألحان دونما هدف.

عندما تحين الساعة للعبادة الصامتة فى المعبد المظلم عند منتصف الليل، أأمرنى، ياسيدى، لكى أقف هناك أمامك وأغنى.

وعند هواء الصباح والقيثارة الذهبية قد دوزنت، شرفنى بأن تطلب حضورى لديك.

(١٦)

لقد نلت بطاقة دعوتى إلى احتفال هذا العالم، وهكذا فإن حياتى قد بوركت. إن عينىَّ قد رأتا، وأذنّى قد أصغتا.

كان دورى فى هذه الوليمة أن أعزف آلتى، وقد قمت بكل ما أقدر عليه.

والآن، أتساءل، هل حان الوقت أخيرًا للسماح لى بالدخول وأن أرى وجهك وأن أقدم لك تحيتى الصامتة؟

(١٧)

إننى فى انتظار الحب لكى أسلم نفسى، أخيرًا، إلى يديه. ولهذا فإن الوقت قد تأخر كثيرًا، ولهذا فأنا مذنب بسبب هذا التباطؤ.

إنهم يجيئون بقوانينهم وحلولهم ليصلحوا من حالى سريعًا، غير أننى أتجنبهم دائمًا، لأننى لا أنتظر سوى الحب لأسلم نفسى إلى يديه.

الناس يلوموننى ويقولون إننى بلا عقل، وأنا لا أشك فى أنهم محقّون بلومهم لى.

إن يوم السوق قد انتهى وكل الأعمال قد انتهت. وهؤلاء الذين أتوا ليدعونى بلا رجاء قد عادوا أدراجهم غاضبين. إننى فى انتظار الحب فقط لكى أسلم نفسى إلى يديه.

(١٨)

السحاب يتراكم فوق السحاب والدنيا تظلم. آه، أيها الحب، لماذا تجعلنى أنتظر هكذا فى الخارج عند الباب لوحدى، تمامًا؟

فى أوقات الزحام عند ذروة الظهر أنا مع الحشود، غير أننى فى هذا الظلام لوحدى ولا أأمل إلا فيك.

إذا لم تكن لترينى وجهك، وإذا تركتنى جانبًا تمامًا، لا أعرف كيف سوف أقضى هذه الساعات الطويلة المظلمة والممطرة.

أستمر فى التحديق فى تجهم السماء البعيدة، وقلبى يتشرد نائحًا مع عويل الرياح.

(١٩)

إذا لم تتحدث فإننى سأملأ قلبى بالصمت وأتحمله. سوف أبقى ساكنًا وسأنتظر مثل الليل بجسد واهن ورأس محنى ومثقل بالصبر.

الصبح حتمًا سيأتي، والظلام سيتبدد، وصوتك سوف يسيل بالينابيع الذهبية تنفجر عبر السماء.

وحينها فإن كلماتك سوف تخفق أجنحتها بالأغانى من كل أعشاش عصافيرى، وستتفجر الألحان فى الزهور فى كل أكمة غاباتى.

(٢٠)

في اليوم الذى أزهر فيه اللوتس، ويا لحسرتى، كان ذهنى مشتتًا، ولم ألحظ ذلك. كانت سلتى خاوية وبقيت الزهرة دون قطاف.

من آن لآخر حزن هبط علي، وبدأت أستيقظ من حلمى وأحسست بأثر عذب لأريج غريب فى ريح الجنوب.

هذه العذوبة الغامضة جعلت قلبى يتوجع بالحنين وتبدى لى أنها كانت أنفاسًا مشتاقة للصيف الذى يحاول أن يكتمل.

لم أكن أعرف آنئذ بأنها كانت قريبة للغاية، وأنها كانت لي، وأن هذه العذوبة المكتملة كانت قد أينعت فى أعماق قلبى أنا.

(٢١)

يتوجب على أن أدفع بقاربى. لقد مرت الساعات الكسلى على الشاطئ – يا لحسرتى!

لقد منح الربيع أزهاره وارتحل. والآن مع ذبول الزهور والورود أنا أنتظر وأرتجى.

الأمواج قد هدأت، وعلى الضفاف تتساقط أوراق الشجر الصفراء وتتناثر.

أى فراغ ذلك الذى تحدق فيه!

ألا تحس بتلك الرجفة العابرة من خلال الهواء وتلك المقطوعات القادمة من البعيد لأغنية تطفو من الضفاف الأخرى؟

(٢٢)

فى الظلال العميقة ليوليو الممطر، وبخطوات سرية، أنت مشيت، صامتًا مثل الظلام، مخاتلاً كل الرقباء.

اليوم الصباح أغلق عينيه، غير مبالٍ بالنداءات الصاخبة لرياح الشرق، وحجاب ثقيل قد وضع على السماء الزرقاء اليقظة – دائمًا.

أشجار الغابات خفضت صوت غنائها، وكل الأبواب قد أغلقت فى كل بيت. إنك المرتحل الوحيد فى هذه الشوارع المهجورة والخاوية. أوه يا صديقى الوحيد، محبوبى الأكثر، إن البوابات مشرعة فى بيتى - لا تعبر من أمامها مثل الحلم.

(٢٣)

هل أنت تجوب هذه الليلة العاصفة فى رحلة الحب، يا صديقى؟ إن السماء تزفر بالأنين مثل شخص يتوجع.

النوم يجافينى هذه الليلة - مرة تلو الأخرى أتفقدك وأفتح الأبواب فى العتمة، يا صديقى!

لا أرى شيئًا أمامى. أتساءل أين يكمن طريقك!

على أية ضفة خافتة من ضفاف نهر الحبر- الأسود، على أية حافة بعيدة من حواف هذه الغابة العابسة، عبر أية متاهة موحشة أنت تغزل الطريق الذى ستأتى عبره إلى، يا صديقى؟

(٢٤)

إذا كان اليوم قد انتهى، إذا توقفت العصافير عن الزقزقة، إذا أعلنت الريح هدوءها، إذن أطرح على حجب الظلام الدامسة، حتى ولو كنت قد لففت العالم بغطاء النوم وبرقة أغلقت أوراق زهرات اللوتس المنحنية عند الغروب.

من الرحالة، الذى نفد متاع حقيبته قبل نهاية الرحلة، والذى تشققت ثيابه وتعفرت بالتراب، والذى خارت قواه، اخلع عنه عاره وفقره، وجدد حياته مثل زهرة فى غياهب ليلك الرؤوم.

(٢٥)

فى ليل التعب هذا دعنى أمضى إلى النوم دونما مشقة واضعًا ثقتى فيك.

اجعلنى لا أجبر روحى المنهكة على تحضيرات بائسة من أجل عبادتك.

إنه أنت الذى جلب حجاب الليل إلى العيون المتعبة للنهار لتنعش أنفاسه لساعات اليقظة.

(٢٦)

لقد أتى وجلس إلى جانبى غير أننى لم أستيقظ أى نوم ملعون كان ذلك، يا لبؤسى!

لقد جاء حين كان الليل ساكنا، كانت قيثارته بين يديه، وأحلامى أضحت ناعمة بسبب عزفه.

يا للحسرة، لماذا كل ليالى قد أصبحت ضائعة؟ آه لماذا دائمًا أضيع رؤيته ذلك الذى تلمس أنفاسه نومى؟

(٢٧)

النور، أوه أين هو النور؟ أشعله بنار الرغبة الحارقة!

هنالك القنديل ولكن لا شرارة للهب؟ - أهذا هو قدرك يا قلبى! آه إن الموت كان أفضل بكثير من أجلك!

التعاسة تطرق على بابي، ورسالتها هى أن سيدك مستيقظ، وهو يدعوك إلى مجلس الحب عبر ظلام الليل.

السماء ملبدة بالغيوم والمطر لا يتوقف. أنا لا أعرف هذا الذى يتحرك بداخلى – لا أعرف معناه.

لحظة من برق الرعد تبعث بالكآبة العميقة إلى ناظرى، وقلبى يتعطش للطريق الذى تدعونى إليه موسيقى الظلام.

النور، أين هو النور! أشعله بنار الرغبة الحارقة! إنها ترعد والرياح تهب بالعويل عبر هذا الفراغ. إن الليلة معتمة سوداء مثل حجر أسود. لا تدع الساعات تنقضى فى الظلام اشعل مصباح الحب بحياتك.

(٢٨)

منيعة هى القيود، غير أن قلبى ينفطر عندما أحاول أن أكسرها.

الحرية هى كل ما ابتغي، ولكن أن أتمناها أشعر بالعار.

أنا متأكد بأن ثروة لا تقدر بداخلك، وأنك أصدق أصدقائي، ولكن لا قلب لدى كى أكنس بعيدًا هذه الزركشات التى تملأ غرفتى.

هذا الوشاح الذى يلفنى هو وشاح الغبار والموت، إننى أكرهه، غير أننى أحضنه بحب.

إن ديونى عظيمة، وفشلى كبير، وخجلى السرى ثقيل، غير أننى عندما آتى لأطلب الطيب، أسارع على عجل خوفًا من أن يستجاب لصلواتى.

(٢٩)

ذلك الذى أضمه إلى اسمى ينوح فى هذا الجب – الحبس. أنا دائمًا منشغل ببناء هذا الحائط من كل جانب، وفيما يرتفع هذا الجدار إلى السماء يومًا تلو اليوم أفقد بصيرتى لحقيقة كينونتى فى ظلاله السوداء.

إننى أفتخر بهذا السور العظيم، وأحشوه بالطين والرمال خشية بقاء ثغرة ما فى هذا الاسم، ورغم حذرى ذلك كله فإننى أفقد بصيرتى لحقيقة من أكون.

(٣٠)

لقد جئت وحيدًا فى طريقى إلى محاكمتى. ولكن من هو هذا الذى يتتبعنى فى الظلام الدامس؟

أناوره بالتحرك جانبًا كى أتجنب حضوره غير أننى لا أستطيع الفرار منه.

إنه يجعل التراب يصعد من على الأرض بخيلائه، إنه يضيف حسه العالى إلى كل كلمة أنطق بها.

إنه ذاتي الصغيرة نفسها، يا سيدي، إنه لا يعرف الحياء، غير أننى أخجل من اصطحابه معى إلى بوابتك.

(٣١)

"أيها السجين، أخبرنى، من هو الذى قيدك؟"

" لقد كان سيدى "، قال السجين.

" لقد ظننت أننى أستطيع أن أتجاوز ثراء كل البشر فى هذا العالم وأن أكون الأقوى بينهم، ولقد عبثت فى دار خزانتى بأموال كانت لمليكى. وعندما غشانى النوم استلقيت على السرير الذى كان لسيدي، وعندما استيقظت وجدت أننى قد أضحيت سجيناً فى دار خزانتى".

"أيها السجين، قل لى، من هو الذى أوثق سلاسل قيدك التى لا تنكسر؟"

"لقد كان أنا"، قال السجين، "الذى جهز هذه الأغلال بدقة وحرص. لقد ظننت أن قواى الخفية والمنيعة سوف تأسر العالم تاركة إياى لحرية بلا منغصات. وهكذا خلال الليل والنهار عملت على صنع هذه الأغلال وصهرتها عبر نار لاهبة وطرقات لاذعة. وعندما انتهى العمل فيها، أخيرًا، وصارت السلاسل مكتملة ووثيقة، وجدت أنها أمسكت بى وسلسلتنى بقبضتها".

(٣٢)

بكل الوسائل يحاولون أن يحيطونى بالأمان أولئك الذين يحبوننى فى هذا العالم. غير أن الأمر مختلف فى حبك الذى هو أكبر منهم جميعًا، وأنت تطلقنى إلى الحرية.

ما لم أنسهم، فإنهم لا يدعوننى أبدًا لشأنى. غير أن اليوم يمضى إثر اليوم وأنت لا ترى.

إذا لم أدعوك فى صلواتي، إذا لم أحتفظ بك فى قلبى، يبقى حبك لى منتظرًا رد حبى لك.

(٣٣)

عندما تبدى النهار جاءوا إلى بيتى وقالوا، "سوف نأخذ منك فقط أصغر الغرف لديك".

قالوا، "سوف نساعدك فى عبادة إلهك ونتقبل بخشوع نصيبنا فقط من بركاته"، ثم اتخذوا لهم مكانًا فى الزاوية وجلسوا بهدوء وخنوع.

غير أنه وفى جنح الليل وجدتهم يقتحمون صومعتى المقدسة بعنف وضوضاء ويسرقون بجشع فاجر قرابينى من على مذبح الإله.

(٣٤)

دع لى القليل منى، فقط، لكى أستطيع أن أسميك كاملى.

دع لى القليل من إرادتى، فقط، حيث أستطيع أن أحسك من كل جانب، وأن آتى إليك فى كل شىء، وأن أقدم لك حبى فى كل لحظة.

دع لى فقط القليل منى بحيث لا أستطيع، أبدًا، أن أخبئك.

دع القليل فقط من أصفادى لى بحيث التصق بمشيئتك، ولكى أحقق أهدافك فى حياتى– وهذه هى أصفاد حبك.

(٣٥)

حيثما العقل بلا مخاوف والرأس مرفوعٌ عاليًا، حيث المعرفة حرة،

حيثما العالم غير مفتت إلى شظايا عبر الجدران الضيقة المحلية،

حيث تخرج الكلمات من عمق الحقيقة،

حيثما يجهد الجهد الحثيث نحو الكمال،

حيثما جدول السببية لم يفقد مجراه إلى صحراء الرمال من العادات البالية،

حيثما العقل مقود إلى الأمام عبرك إلى أفكار وأعمال عظيمة الانفتاح –

إلى جنة الحرية، يا أبتى، دع بلادى تستيقظ فيها.

(٣٦)

هذه هى صلاتى إليك يا إلهى – اضرب، اضرب حتى الجذور فى أعماق قلبى.

امنحنى القوة بخفة كى أحتمل متعى وأحزانى.

امنحنى القوة كى أجعل حبى مثمرًا فى خدمتك.

امنحنى القوة كى لا أتخلى عن بائس أو فقير أو أحنى ركبتى أمام سطوة المتعجرف.

امنحنى القوة كى أتسامى بعقلى فوق التفاهات اليومية.

وامنحنى القوة لأسلم قوتى إلى مشيئتك بمحبة.

(٣٧)

لقد ظننت أن رحلتى قد وصلت إلى نهايتها وأن قواى قد قاربت على الاستنفاد، - وأن الطريق أمامى كان مغلقًا، أن مؤنى قد استنفدت وأن الوقت قد حان كى أتخذ لى ملاذًا فى الغموض الصامت.

غير أننى اكتشفت أنك لا تعرف نهاية بداخلى. وعندما تموت الكلمات القديمة على اللسان، تتدفع ألحان جديدة من القلب، وحيثما تضيع الطرقات القديمة، بلاد جديدة تتكشف بعجائبها.

(٣٨)

أن أبتغيك، أنت، فقط، يكرر قلبى ذلك بلا نهاية. كل الرغبات التى تراودنى نهارًا، وليلاً، كاذبة وخاوية حتى النخاع.

وكما يخبئ الليل فى جهمته أمل النهار، هكذا فى أعماق قلبى وضميرى تنطلق صرخة – إننى أريدك، أنت فقط.

وكما تظل الريح تبتغى فى نهايتها السلام حتى وهى تطرق بعنف ضد السلام بكل قوتها، حتى ولو كانت ثوراتى العارمة تنفجر إزاء محبتك فإن صرختى ما زالت – إنى أريدك، أنت فقط.

(٣٩)

عندما يكون القلب قاسيًا وجافًا، اشملنى بفيض رحمتك.

عندما تفقد حياتى بركتها، تعال إلى ببحر من الإنشاد.

عندما يعج ضجيج العمل ويرتفع طنينه من كل صوب حارمًا إياى مما هو أبعد منه، تعال إلى، يا إلهى للصمت، واجلب إلى السلام والراحة.

عندما يجلس قلبى الشحاذ القرفصاء، أخرس فى زاويته، اكسر الباب عنوة، يا ملكي، وتعال إلى فى احتفال الملك.

عندما تعمى عقلى الرغبة بأوهامها وغبارها، أوه أنت المقدس العظيم، أنت الذى لا تأخذك سنة النوم، تعال إلى برعدك وبرقك.

(٤٠)

إن المطر قد امتنع لأيام وأيام، يا إلهى، عن قلبى المتصحر. والأفق نارى العرى – ليس هنالك أى غشاء خفيف حتى من الغيم الناعم، ولا بارقة أمل حتى فى مطر بعيد بارد.

ارسل بالعاصفة الغاضبة، المظلمة بالموت، إذا كانت هذه هى إرادتك، وبسياط من البرق اجلد السماء من الطرف حتى الطرف.

لكن استعد، يا إلهى، استعد هذه الحرارة الحارقة، الصامتة، الساكنة، القاسية، التى تحرق القلب ببؤسها الصارخ.

فلترسل بسحاب البركة من الأعالى يهبط مثل نظرة أم دامعة فى يوم غضب الأب.

(٤١)

لماذا تقف خلفهم جميعًا، يا سيدى، مخفيًا نفسك فى الظلال؟ إنهم يدفعون بك ويعبرونك على الطرق المتربة، يعاملونك على أنك العدم. إننى أنتظرك هناك مرهقًا لساعات متعبة عارضًا العطايا والقرابين لك، فيما العابرون يأتون ويسلبوننى زهورى، واحدًا تلو الآخر، وقد قاربت سلتى على الخواء.

لقد انقضى وقت الصباح والظهيرة، وفى ظل المساء عيناى متقلتان بالنعاس. الرجال العائدون إلى بيوتهم يلقون على بنظرة ويبتسمون ويملئوننى بالخجل. إننى أجلس كشحاذة خادمة، أشد تنورتى وألقيها على وجهي، وعندما يسألوننى ما الذى أبتغيه، أخفض عينى ولا أجيبهم.

أوه، كيف لى بالفعل أن أخبرهم أننى من أجلك أنتظر، وأنك قد وعدتنى بالمجىء. كيف لى أن أنبس لهم بخجل أننى أحتفظ بهذا الفقر ليكون جهازى ومهرى لك. آه، إننى أحضن هذا الفخر وأكتمه فى قلبى.

أجلس على العشب وأحدق فى السماء وأحلم بحضورك الرائع والمدهش والمفاجئ - كل الأنوار ستسطع، والرايات الذهبية ترفرف فوق عربتك، وعلى الشارع يقف المصطفون على الناحيتين، عندما يرونك تهبط من عرشك لتنشلنى من الغبار، وتجلس بقربك هذه الفتاة الشحاذة مثل نسمة باردة فى عز الصيف.

غير أن الوقت يمضى ولا صوت هنالك – بعد – لعجلات عربتك. الكثير من المواكب يمر أمامى بالضجيج والصراخ ومظاهر العظمة. وأنت الوحيد، الذى سوف يقف ساكنًا فى الظلال، صامتًا، وخلفهم جميعًا؟ وأنا الوحيد الذى سوف ينتظر وينوح ويرهق قلبه بلا جدوى فى الانتظار؟

(٤٢)

فى الفجر المبكر، تم التهامس، إننا سوف نبحر فى القارب، أنت وأنا فقط، ولا نفس فى الأرض سوف تعرف عن حجنا هذا إلى اللا بلاد واللانهاية.

فى هذا المحيط الذى لا شاطئ له، ومع ابتسامتك الهادئة والمصغية سوف تتفجر أغنياتى بالألحان، حرة مثل الأمواج، حرة من كل علائق الكلمات.

هل هذا الأوان، لم يحن بعد؟ هل ما زال هنالك أعمال لأدائها؟ هابطة، جاءت الأمسية إلى الشطآن وفى خفوت النور طارت النوارس إلى أعشاشها.

من ذا الذى يعلم متى ستتخلع الأغلال، والقارب، مثل آخر ضوء لمغيب الشمس، سوف يتوارى فى الليل؟

(٤٣)

فى اليوم الذى لم أكن مستعدًا من أجلك فيه، ووالجًا إلى قلبى دون أية ممانعة حتى كأحد الأفراد من الحشود، مجهولاً بالنسبة إلى، يا ملكى، أنت قد وشمت سيماء الأبدية على الكثير من اللحظات الهاربة فى حياتى.

واليوم عندما بالصدفة أستضىء بها، وأشهد توقيعك عليها، أكتشف أنها كانت ملقاة هناك ومبعثرة فى الطين تختلط بذكريات الحزن والسرور لأيام حياتى التافهة منسية هناك.

وبالرغم من ذلك أنت لم تذرنى وحيدًا ولم تغضب من لهوى الطفولى فى التراب، والخطوات التى أصغيت إليها وأنا فى غرفة اللعب هى نفسها التى أسمع صداها بين نجمة وأخرى.

(٤٤)

هذه هى متعتى، أن أنتظر وأراقب على جانب الطريق حيث الظل يطارد النور والمطر يأتى ليهمى فى عز الصيف.

رسل، يأتون بطيات من السماوات المجهولة، يحيوننى ويسرعون الخطو على الطريق. إن قلبى فرحٌ فى الداخل، وأنفاس النسيم العابر عطرة.

من الفجر حتى المغيب أجلس هنا أمام بابى، وأدرك أن لحظة السعادة ستصل فجأة عندما أراك.

وفى أثناء ذلك أبتسم وأغنى لوحدى تمامًا. وفى الوقت نفسه الهواء يمتلئ بعطر الوعد.

(٤٥)

ألم تسمع خطواته الهادئة؟ إنه يأتى، يأتى، يأتى دائمًا.

فى كل لحظة، وكل عصر، فى كل يوم وكل ليل إنه يجئ، يجئ، يجئ دائمًا.

أغانٍ كثيرة رنمتها فى أمزجة كثيرة للعقل، غير أن كل نوتاتها أعلنت، "إنه يجىء، يجىء، يجىء دائمًا".

فى شظايا الأيام لأبريل المشمس ومن خلال الغابة وطريقها إنه يأتى، يأتى، يأتى دائمًا".

فى كآبة المطر فى يوليو ولياليه فى العربات المرعدة للغيوم إنه يأتى، يأتى، يأتى، دائمًا.

فى الأحزان تلو الأحزان إنها خطواته تلك التى تمشى فى قلبي، وإنها هى لمسته الذهبية برجليه تلك التى تجعل فرحى مشعًا.

(٤٦)

إننى أجهل من أى زمن بعيد أنت تأتى دائمًا تقترب لتلاقينى. إن شمسك ونجومك لا تستطيع أبدًا أن تخفيك عن عيوني.

فى صباحات كثيرة وأمسيات خطواتك قد سمعت ورسولك أتى من خلال قلبى ودعانى فى السر.

لا أعرف لماذا أشعر اليوم بأن حياتى كلها قد تحركت؛ وأن شعورًا بالفرح الهائل يعبر داخل قلبى.

إنه كما لو أن الوقت قد حان لأنهى أعمالى، وأحس بفوح خفيف عذب لحضورك الجميل.

(٤٧)

لقد انقضت الليلة فى انتظاره، عبثًا. إننى أخشى من أن يأتى فجأة إلى بابى فى الصباح ويكون النوم قد خاتلنى. أوه، يا أصدقاء، أخلوا له الطريق – لا تمنعوه.

إذا لم تقم خطواته بإيقاظي، لا تحاولوا أن توقظونى، إننى أصلى من أجل ذلك. إننى لا أتمنى أن أصحو من نومى عبر نداءات زقزقة العصافير، أو مظاهرة الرياح فى احتفالات نور

الصباح. دعونى نائمًا دونما إزعاج إذا ما جاء إلهى فجأة إلى باب بيتى.

آه يا نومى، يا نومى الثمين، والذى ينتظر لمسته فقط كى يتلاشى. آه، عيناى المغمضتان واللتان ستفتحان أجفانهما فقط لنور ابتسامته عندما يقف أمامى مثل حلم يبزغ من ظلام النوم.

دعه يظهر أمام ناظرى كأول كل الأضواء، كل الأشكال. الرعشة الأولى لفرحى ولروحى اليقظة فلتأتِ من نظرته. واجعل من عودتى إلى نفسى عودة فورية إليه.

(٤٨)

إن بحر الصمت للصباح قد تفجر بأغانى الطيور، والورود كانت تمتلئ بالبهجة على جوانب الطريق، وترف الذهب قد توزع بين الغيوم فيما مضينا نحن منشغلين فى الطريق غير عابئين بذلك كله.

لم ننشد أغانى الامتنان ولا لهونا، لم نذهب إلى القرية للمقايضة، لم ننطق بكلمة ولم نبتسم، ولم نسترخِ فى الطريق. وأسرعنا الخطى أكثر وأكثر كلما تسارع الوقت.

الشمس صعدت إلى كبد السماء والحمائم تجمعت فى الظلال. أوراق الشجر الذابلة تراقصت ودارت فى الهواء الساخن للظهيرة. والولد الراعى استراح وحلم تحت ظلال شجرة البانيان، وأنا استلقيت بقرب الماء ومددت ساقى المتعبتين على العشب.

رفاقى سخروا منى ضاحكين، رفعوا رؤوسهم عاليًا وأسرعوا فى المشى، لم ينظروا أبدًا إلى ما وراءهم ولم يستريحوا، لقد اختفوا فى الأفق البعيد الأزرق. لقد عبروا الكثير من الحدائق، والتلال، ومروا عبر بلاد غريبة وبعيدة جدًا. كل الشرف لك، أنت المضيف البطولى للطرق غير المنيعة! السخرية والاستهجان أجبرانى على القيام، غير أننى لم أجد دافعًا بداخلى. لقد تركت نفسى ضائعًا فى أعماق الإهانة المحظوظة تحت ظلال المتعة.

إن طمأنينة الظلال الخضراء المطرزة بنور الشمس والتى انتشرت ببطء فوق قلبى جعلتنى أنسى لماذا كنت قد ارتحلت وأسلمت عقلى دونما مقاومة إلى غابات الظلال والغناء.

أخيرًا، عندما استيقظت من قيلولتى وفتحت عينىّ، شاهدتك تقف أمامى، غاسلاً نومى بابتسامتك. كم كنت مذعورًا من أن الطريق سوف يكون طويلاً ومرهقًا، وأن الكفاح للوصول إليك سيكون صعبًا للغاية!

(٤٩)

لقد أتيت إلى هابطًا من عرشك ووقفت أمام باب كوخى.

كنت أغنى لوحدى تمامًا فى الزاوية، وقد مس اللحن أذنيك. لقد هبطت ووقفت عند باب كوخى.

إن السادة كثر فى ردهتك، والأغانى تنشد هنالك فى كل الأوقات. غير أن هذه الأغنية المرحة والبسيطة لهذا المبتدئ نالت محبتك. إن وترًا صغيرًا عاديًا اختلط بالموسيقى العظيمة

لهذا العالم، وبزهرة كجائزة هبطت أنت وتوقفت عند باب كوخى.

(٥٠)

لقد كنت أشحذ من باب لباب فى درب القرية عندما بدت عربتك الذهبية فى البعيد مثل حلم رائع وتساءلت من يكون هذا ملك الملوك جميعهم!

لقد ارتفعت آمالى عاليًا وظننت أن أيامى السيئة قد وصلت إلى نهايتها، ووقفت هنالك فى انتظار الصدقات لكى تمنح دونما سؤال وللثروات لتنثر على جانبى الطريق الترابى.

لقد توقفت المركبة حيث وقفت. وسقطت النظرة على ورافقتها ابتسامة. لقد أحسست بأن حظ حياتى قد وصل إلى أخيرًا. ثم فجأة أنت مددت يدك اليمنى إلى وقلت، "ما الذى لديك لتمنحنى إياه؟"

آه أى تصرف ملكى ذلك أن تفتح كفك لشحاذ كى تشحذ!
لقد كنت محتارًا ومضطربًا ووقفت دون أن أقرر، ثم من محفظتى ببطء أخذت أصغر حبة ذرة وأعطيتك إياها.

غير أنه ما كان أعظم دهشتى عندما، فى نهاية اليوم، أفرغت حقيبتى على الأرض ووجدت حبة صغيرة من الذهب بين ذلك الركام البائس. لقد بكيت بمرارة وتمنيت لو كان لدى القلب لأمنح كل ذلك لك.

(٥١)

الليل أعتم. أعمال نهارنا قد انتهت. لقد ظننا أن آخر الضيوف قد وصل وأبواب القرية كلها أوصدت. غير أن البعض قال بأن الملك قادم. ضحكنا وقلنا، "كلا، هذا مستحيل!".

بدا أن هنالك طرقًا على الباب، غير أننا قلنا إن هذا ليس سوى الريح. أطفأنا المصابيح، وخلدنا للنوم. غير أن البعض قال، "إنه الرسول!". ضحكنا وقلنا، " كلا، لابد أنها الريح!".

انطلق صوت فى قلب الليل. لقد ظننا نعسانين بأن ذلك صوت رعد قصى. ارتجت الأرض، اهتزت الجدران، وأزعجنا ذلك فى نومنا. غير أن البعض قال، إن ذلك هو صوت العجلات. قلنا فى همهمات دائخة "كلا، لابد أنه ضجيج السحاب!".

كان الليل لا يزال ساكنًا عندما دقت الطبول. جاء الصوت، "استيقظوا، هموا ولا تتأخروا!". وضعنا أيادينا على قلوبنا وارتجفنا من الذعر. البعض قال، "انحنوا، تلك هى راية الملك!". وقفنا على أقدامنا وصرخنا، "لا وقت هنالك للتأخير!".

الملك قد جاء – ولكن أين هى الأضواء، وأين هى الزينات؟ وأين يجلس صاحب التاج، أوه يا للعار، يا للفضيحة! أين هى القاعة، وأين هى الزخرفات؟. أحدهم قال، "لا فائدة من النحيب، استقبلوه وحيوه بالأيادى الخاوية، قودوه إلى غرفكم العارية!".

افتحوا الأبواب، أطلقوا صوت الأصداف والودع! فى عمق الليل جاء ملك بيتنا المظلم والموحش. الرعد يزأر فى السماء. الظلام يرتجف بالبرق. أخرج قطعة بساطك المهلهلة وأبسطها فى الفناء. مع العاصفة قد جاء فجأة ملكنا لليل المهيب.

(٥٢)

لقد فكرت أن أطلب منك – غير أننى لم أجرؤ على ذلك – بقايا الوردة التى كانت فى العقد حول جيدك. وهكذا انتظرت إلى الصباح، عندما غادرت أنت، لأجد بعض البتل على الفراش. ومثل متسول بحثت فى الفجر لأجد بتلة قد وقعت أو اثنتين.

أواه يا أنا، ما الذى أعثر عليه؟ أى تذكار قد بقى من حبك؟ ليس هنالك زهرة، ولا بهارات، ولا قارورة من ماء معطر. إنه سيفك العظيم، يلمع كاللهب، ثقيل مثل رصاص من الرعد. إن نور الصباح ينبلج ويتسلل من النافذة ناشرًا نفسه على فراشك. عصافير الصباح تتلفت وتسأل، "أيتها المرأة، ماذا

لديك؟". كلا إنها ليست زهرة، ولا بهارات، ولا قارورة ماء معطر – إنه سيفك المخيف.

إننى أجلس وأتأمل فى حيرة، ما هويتك هذه. ليس لدى مكان لأخبئها فيه. وأنا أخجل من ارتدائه، هشة كما أنا، ضعيفة ويؤلمنى حين أضعه على صدرى. غير أنه سوف أتحمل فى قلبى هذا الشرف لمسؤولية الألم، هديتك.

من الآن وصاعدًا لن يكون هنالك خوف لدى فى هذا العالم، وأنت سوف تكون منتصرًا فى كل معاركى. رغم أنك تركت الموت ليصاحبني، ولسوف أتوجه بحياتى. إن حسامك معى لكى أبتر قيودى، ولن يكون لدى أى خوف بعد فى هذا العالم.

من اليوم وصاعدًا سوف أترك خلفى كل الزينات التافهة. يا إله قلبي، لن يكون هنالك المزيد لى من النحيب والعويل فى الزوايا، لا مزيد من الغنج والدلال والدلع.

ورغم أنك أهديتنى السيف لجماله، غير أنه لن يعود هنالك من زينة العرائس لى!.

(٥٣)

جميلة هى أسورة المعصم، محفورة بالنجوم، ومزينة بعناية بجواهر ملونة من التلال. غير أن الأجمل منها، بالنسبة إلي، هو سيفك بتقويسه اللامع مثل أجنحة منشورة للطير المقدس لفيسشنو، متأهبًا بالكمال تحت النور الأحمر الغاضب للغروب.

إنه ينتفض كأنه الرمق الأخير للحياة فى نشوة الألم فى الضربة الأخيرة للموت، إنه يلمع مثل اللهب الخالص للوجود وهو يحرق الحس الأرضى بوهجه المتأجج.

جميلة هى أسورة المعصم، المزخرفة بالجواهر اللامعة، غير أن سيفك، أوه يا إله البرق، يزخر بأقصى الجمال، يصعب احتواؤه أو التفكير به.

(٥٤)

لا أطلب منك شيئًا، لم أنبس باسمى إلى مسمعك. عندما استأذنت للرحيل وقفت صامتة. كنت وحيدة عند البئر حيث مال

ظل الشجرة، والنساء قد مضين إلى البيوت حاملين فخار الماء الطينية، ممتلئة حتى آخرها. نادينني وصرخن، "تعالى معنا، إن الصباح قد تحولت حرارته إلى الظهيرة". غير أننى تأخرت عنهن وغرقت فى وسط تأملاتى الغامضة.

لم أسمع وقع خطوك عندما أتيت. عيناك كانتا حزينتين عندما وقع نظرهما علي، كان الصوت مرهقًا وتحدثت بصوت خفيض – "آه"، إننى مسافر ظمآن". صحوت من أحلام يقظتى وصببت الماء من جرتى فى كفيك المعقودين. الأوراق حفت فوق الرأس، والبلبل غنى من ظلمة غير مرئية، وعطر زهور اللبلاب فاحت نحونا من جانب الطريق.

أطرقت خرساء بالحياء عندما سألتنى عن اسمي. ياللهول، ما الذى قدمته لك لكى تحتفظ بى فى الذاكرة؟ غير أن ذكرى الماء الذى رويت به عطشك سوف تلتصق بقلبى وتلفه بالعذوبة. إن ساعات الصباح قد ولت، العصافير تشدو بزقزقة تعبة، أوراق شجر النسيم تحف فوق الرأس وأنا أجلس وأفكر، وأفكر.

(٥٥)

الفتور فى قلبك، والنعاس لا يزال فى عينيك.

ألم يصلك الخبر بأن الزهرة تمكث فى النعيم بين الأشواك؟ أفق، أو استفق! لا تدع الوقت يمضى هباءً!.

فى آخر الطريق الحجرى، فى موطن العزلة العذراء صديقى يجلس وحيدًا، تمامًا. لا تخدعه. أفق، أوه استفق!

ماذا لو أن السماء أرعدت وأزبدت بالحرارة الحارقة فى شمس القيظ – ماذا لو أن الرمال الحارقة لهثت بالظمأ –

أليس هنالك من فرح فى أعماق قلبك؟ عند كل موقع قدم لك، ألن يتفجر عندها لحن الألم العذب للقيثارة؟

(٥٦)

هكذا فإن البهجة فى داخلى مكتملة. هكذا كنت أنت الذى هبط إلى. أوه يا إله كل السماوات، أين كان سيكون حبك لو لم يكن لدى؟

أنت أخذتنى كشريك لك فى كل هذا الثراء. إنه فى كل قلبى كل هذا اللهو الفائض فى المتعة. فى حياتى مشيئتك تتخذ أشكالها.

ولهذا، فإن الذى هو ملك الملوك قد غمست نفسك فى الجمال كله لكى تستولى على قلبى. ولهذا فإن حبك يذوب فى حب العاشق، وأنت هنالك ترى فى الاتحاد الكامل لاثنين.

(٥٧)

أيها النور، يا نورى، يا نور العالم، أيها النور الذى يقبل العينين، نور القلب – العذب!

آه، إن النور يتراقص، يا حبيبي، فى قلب حياتى، إن النور يضرب، يا حبيبى، أوتار عشقى، إن السماء تتفتح، والرياح تتراكض ببرية، والضحكات تعبر فوق الأرض.

النور يشع كالذهب فوق كل سحابة، يا حبيبى، ويلقى بالجواهر فى ترف.

الطرب يتوزع بين الأوراق، يا حبيبى، والسرور بلا حدود. إن نهر الجنة قد فاض على ضفافه وسيول الفرح قد عمت الدنيا.

(٥٨)

دع كل أوتار البهجة تتلاعب فى أغنيتى الأخيرة – تلك البهجة التى تجعل الأرض تغتبط بجنون بالعشب الكثيف، البهجة التى تصاحب الأخوين التوأم، الحياة والموت، البهجة التى تكتسح الزوبعة، راجة وموقظة كل الحياة بالضحك، البهجة التى تجلس ساكنة بدموعها فى ألم تفتح زهر اللوتس الأحمر، والبهجة التى ترمى بكل شىء تملكه فى التراب، ولا تعرف كلمة واحدة.

(٥٩)

نعم، إننى أعلم، أن هذا لا شىء سوى حبك أوه يا حبيب قلبى – هذا النور الذهبى الذى يتلاعب على الأغصان، هذه

السحابة الكسول التى تبحر فى السماء، هذا النسيم العليل الذى يترك طراوته على جبينى.

إن نور الصباح قد أغرق عينى - هذه هى رسالتك إلى قلبى. إن وجهك ينحنى من الأعالى، عيناك تنظران إلى عينى، وقلبى قد لامس قدميك.

(٦٠)

على ضفاف العالم اللانهائية يلتقى الأطفال. إن السماء الممتدة تقف ساكنة فوق الرؤوس والمياه القلقة تجرى صاخبة. على ضفاف العالم اللانهائية يلتقى الأطفال يلهون ويرقصون.

إنهم يبنون بيوتهم من الرمال ويلعبون بالأصداف الخاوية. وبالأغصان الزاوية يبنون زوارقهم ويطلقونها مبتسمين إلى العمق الشاسع. إن الأطفال يجدون لعبهم على ضفاف بحار العوالم.

إنهم لا يعرفون كيف يسبحون، ولا يعرفون كيف يرمون بالشباك. إن صيادى اللؤلؤ يغوصون من أجل اللؤلؤ، التجار يبحرون فى مراكبهم، فيما الأطفال يجمعون الحصى وينثرونه من جديد. إنهم لا يبحثون عن ثروات مختبئة، إنهم لا يعرفون كيف ينصبون شباكهم.

إن البحر يطفح بالضحكات، وابتسامة شاطئ البحر تشع. الأمواج التى تحمل الموت تغنى أغانى بلا معنى للأطفال، وحتى مثل هدهدة الأم وترنيمها لوليدها وهى تهز مهده. إن البحر يلاعب الصغار، والابتسامة تشع من شاطئه.

على ضفاف العالم اللانهائية الأطفال يلتقون. الزوابع تدور فى السماء التى لا دروب فيها، المراكب تتحطم فى المياه العميقة، الموت مقلعًا والأطفال يلهون. على ضفاف العوالم اللانهائية يحدث الاجتماع العظيم بين الأطفال.

(٦١)

إن النوم الذى يغمر عيون الوليد – هل يعرف أى أحد من أين يأتى؟ نعم هنالك شائعة إنه يعيش حيث، قرية الحوريات ما بين ظلال الغابة المضاءة ضوءًا خافتًا ينعكس من الديدان المنيرة، هنالك يتدلى برعمان صغيران للسرور. من هنالك يأتيان ليقبلا عيون الطفل.

الابتسامة التى تتسلل إلى شفاه الوليد عندما ينام – هل يعرف أى شخص أينْ قد ولدت؟ نعم، هنالك إشاعة بأن ضوءًا شاحبًا صغيرًا للهلال قد لامس حافة سحابة خريف ينقضى، وهنالك فى البدء ولدت الابتسامة فى حلم صباح مغسول بالندى – الابتسامة التى تلتمع على شفاه الطفل عندما يذهب فى النوم.

إن تلك اليناعة العذبة والناعمة التى تزهر فى أطراف الوليد – هل يعرف أى أحد أين كانت مخبوءة لزمن طويل؟ نعم، عندما كانت الأم صبية صغيرة استلقت غامسة قلبها فى رقة

الغموض الصامت للحب - إنها اليناعة العذبة والناعمة التى أزهرت فى أطراف الوليد.

(٦٢)

حينما أجلب لك الألعاب الملونة، يا طفلى، أفهم لماذا هنالك كل هذا اللعب للألوان فى الغيوم، والماء، ولماذا الزهور مرسومة وملونة - عندما أمنحك ألعابًا ملونة، يا طفلى.

عندما أغنى من أجلك كى ترقص، أعرف حقيقة لماذا هنالك موسيقى فى الأغصان، ولماذا ترسل الأمواج إلى قلب الأرض المصغية - عندما أغنى من أجلك كى ترقص.

عندما أحضر بالحلويات إلى يديك الطماعتين أعرف لماذا هنالك عسل فى كأس الوردة ولماذا الفواكه محشودة بالسر بالعصائر الحلوة - عندما أحضر الحلويات إلى يديك الطماعتين.

عندما أقوم بتقبيل وجهك لأجعلك تبتسم، يا حبيبى، فأنا بالتأكيد أفهم ما تلك اللذة التى تتدفق من السماء تحت نور

الصباح، وأية متعة تلك التى يجلبها نسيم الصيف إلى بدنى – عندما أقبلك كما تبتسم.

(٦٣)

أنت قد جعلتنى معلومًا عند أصدقاء لم أعرفهم أبدًا. أنت الذى منحتنى أرائك فى بيوت ليست لى. أنت الذى قربت البعيد وجعلت من الغريب أخًا لى.

إن قلبى يغتم عندما أضطر إلى ترك مكانى المألوف، وأنسى أنه فى القديم يختبئ الجديد، وأنك هنالك أيضًا مخبأ.

من خلال الولادة والموت، فى هذا العالم أو العوالم الأخرى، أينما تقودنى فهنالك أنت، الصاحب الوحيد لحياتى الممتدة الذى يربط ما بين قلبى وروابط الفرح فى ذلك المجهول.

عندما يتعرف عليك المرء، فلا غريب هناك ولا باب يكون موصدًا. أوه، حقق لى صلاتى يا مولاى كى لا أفقد أبدًا بركتك أيها الواحد الأحد فى لهو الآخرين.

(٦٤)

على المنحدر عند النهر المنعزل ما بين الحشائش الطويلة سألتها، "أيتها البتول، إلى أين تمضين ساترة مصباحك بدثارك؟ إن بيتى كله معتم وموحش – أعيرينى نورك!". رفعت عينيها الداكنتين لبرهة ونظرت إلى وجهى من خلال الغسق. "لقد أتيت إلى النهر"، قالت، "لكى أجعل مصباحى يطفو على الجدول عندما يميل ضوء النهار إلى الغرب". وقفت وحيدًا بين الحشائش الطويلة وراقبت اللهب الخافت لقنديلها منجرفًا بلا نفع إلى أمواج النهر.

فى صمت الليل المجتمع سألتها، "أيتها البتول إن أنوارك كلها قد أضاءت – إلى أين تذهبين إذن بمصباحك؟ إن بيتى كله معتم وموحش – أعيرينى نورك". رفعت عينيها الداكنتين إلى وجهى، ووقفت لبرهة فى حيرة. "لقد جئت"، قالت أخيرًا، "لكى أكرس مصباحى للسماء. وقفت وراقبت نورها يحترق بلا جدوى فى الفراغ.

فى جهمة الليل الذى لا قمر فيه سألتها، "أيتها البتول، إلى ماذا ترمين وأنت تمسكين بالمصباح قرب قلبك؟ إن منزلى كله موحش ومعتم، - أعيرينى ضوءك". توقفت لبرهة وفكرت وحدقت فى وجهى فى الظلام. "لقد أحضرت نورى". قالت، "لأنضم إلى كرنفال المصابيح". وقفت وراقبت مصباحها الصغير تائهًا بلا جدوى ما بين الأضواء.

(٦٥)

أى شراب قدسى سوف تتناول يا إلهى، من هذا الكأس الذى يفيض من حياتى؟

يا شاعرى، إنه يسرك أن ترى خلقك عبر عينى وأن تقف عند بوابات أذنى صامتًا لتصغى إلى موسيقاك أنت الأبدية؟

إن عالمك يغزل الكلمات فى عقلى والفرح يضيف الموسيقى إليها. أنت قد منحت نفسك لى بمحبة ثم أحسست بعذوبتك الكلية بداخلى.

(٦٦)

هى التى بقيت دائمًا فى أعماق وجودى، فى نور الغسق والتماعاته، هى التى لم تكشف حجبها أبدًا فى نور الصباح، سوف تكون هديتى الأخيرة إليك، يا إلهى، مطوية فى أغنيتى الأخيرة.

الكلمات حاولت إغواءها غير أنها فشلت فى أن تكسبها، ومحاولات الاحتواء مدت إليها أذرعها بلا جدوى.

لقد جلت من بلد إلى بلد محتفظًا بها فى قلب قلبى، ومن حولها ارتفعت وتساقطت أعمدة نضوجى وتفسخى فى هذه الحياة.

على قمم أفكارى وأعمالى، أحلامى ونعاسى، حكمت غير أنها عاشت وحيدة ونائية.

الكثير من الرجال طرقوا باب بيتى وطلبوا قربها غير أنهم عادوا خاليى الوفاض.

ليس هناك أى شخص فى هذا العالم استطاع أن يراها وجهًا لوجه، وهى تسربلت بوحدتها فى انتظارك.

(٦٧)

انت هو السماء وأنت هو العش، أيضًا.

إنك جميل، هنالك فى العش يسكن حبك الذى يلف الروح بالألوان والأصوات والغرام.

ها هو الصباح يأتى كفتاة تحمل سلة ذهبية فى يدها اليمنى مليئة بأكاليل الجمال، تحملها بصمت لتتوج الكون.

وها هو المساء يأتى والمراعى الوحيدة التى هجرتها القطعان، عبر الطرق الوعرة، يحمل كفتاة جرعات من السلام فى جرتها الذهبية من المحيط الغربى للراحة.

لكن هناك، حيث تمتد السماء بلا حدود للروح كى تحلق فيها، يسكن الشعاع الأبيض الذى لا بقعة فيه. ليس هناك من نهار أو ليل، ولا شكل ولا لون، وأبدًا، أبدًا لا كلمة هناك.

(٦٨)

إن شعاع الشمس يأتى إلى هذه الأرض التى هى لى بأذرع ممدودة ويقف عند بابى طوال النهار كى يحمل إلى أقدامك، عائدًا، سحب مصنوعة من أدمعى، وآهاتى، وغنائى.

بمحبة عميقة أنت تلف الصدر المرصع بالنجوم، هذا الدثار من الغيوم الملبدة، محولاً إياه إلى أشكال لا عد لها تبسطها وتلونها إلى درجات من الألوان المتحولة.

إنها خفيفة للغاية وتطير بسرعة، رقيقة وممتلئة بالدموع ومعتمة، ولهذا أنت تحبها، أوه أنت الخالى من البقع والجميل الهادئ. ولهذا فإنها قد تغطى نور بياضك الشديد بظلالها التعسة.

(٦٩)

إن مجرى الحياة نفسه الذى يسيل خلال شراييني ليلاً ونهارًا، يجرى فى العالم ويرقص بإيقاع موزون.

إنها الحياة نفسها التى تنطلق بفرح عبر طين الأرض فى أجمة العشب وتتكسر فى زبد الأمواج وتطل من أوراق الأشجار وزهورها.

إنها الحياة نفسها التى يتم حفرها فى مهد المحيط للولادة والموت، فى الجزر وفى المد.

أشعر بأن أطرافى قد أصبحت رائعة بلمسة من عالم الحياة هذه. وأن كرامتى هى من ضخ الحياة هذه لعصور تتراقص فى دمى هذه اللحظة.

(٧٠)

إنه يتجاوزك أن تكون فرحًا مع الفرح الهائل لهذا الإيقاع؟ أن يرمى بك وأن تضيع وأن تتكسر فى دوامة هذا الفرح المهول؟

كل الأشياء تتدافع، لا تتوقف، إنها لا تنظر إلى الوراء، لا قوة تستطيع أن تمسك بها، إنها تندفع بسرعة.

إنها تحاول اللحاق بخطوات هذه الموسيقى القلقة، والسريعة، الفصول تتلاحق راقصة وتمضى – الألوان، الإيقاعات، والعطور تصب فى حدائق غناء بلا حدود فى هذا المرح الوافر الذى يتوزع وينتهى ويموت فى كل لحظة.

(٧١)

أن أفخم فى ذاتى وأقلبها من كل الجوانب، ناشرًا بذلك الظلال الملونة على نورك، هذا هو الوهم، المايا.

أنت تضع الحواجز فى وجودك ثم تطلب أن تخدم على ربوتك العالية. إن هذا هو انفصال نفسك الذى اتخذ له جسدًا فى.

إن الأغنية الصارمة يتردد صداها خلال كل السماء بدموع كثيرة – ملونة وابتسامات، أصوات يأس وآمال، إن الأمواج تصعد عاليًا وتتكسر من جديد، الأحلام تتكون وتتبدد. فى نفسى أمتلك هزيمتها.

إن هذا الستار الذى رفعته مرسوم بأشكال لا حصر لها بفرشاة من الليل والنهار. خلفه عرشك منسوج بعجائب غامضة من الانحناءات، ضاربة بكل الخطوط العارية والمستقيمة.

إن المشهد العظيم لك ولى قد انتشر فى المساء. بنغمك ونغمى كل الهواء يترنم، وكل العصور تمر عبر الخفى لتبحث عنك وعنى.

(٧٢)

إنه هو، الواحد فى عمق الأعماق، الذى يوقظ كينونتى بلمساته العميقة الخفية.

إنه هو الذى يضع فتنته على هاتين العينين وببهجة يعزف على أوتار قلبى ألحاناً متنوعة للمتعة والألم.

إنه هو الذى ينسج بيت الوهم – المايا هذا فى خيوط من الذهب والفضة، الأزرق والأخضر، ويسمح لنا أن نسترق النظر من خلال طيات أقدامه، والذى بلمسة منه أنسى من أنا.

الأيام تأتى والعصور تمر، وهو الذى دائمًا يحرك قلبي، بأسماء كثيرة، بوجوه كثيرة، بأزمنة كثيرة من الفرح والأسى.

(٧٣)

الخلاص ليس لى عبر العزوف عن الدنيا. إننى أشعر بحضن الحرية فى ألف رباط ورباط للمتعة.

إنك دائمًا ما تصب لى من ذخيرتك الطازجة من خمرتك ذات الألوان المتنوعة والأريج، مالئًا كأس الدنيا هذه حتى الثمالة.

إن عالمى سوف يضىء مصابيحه المئة المختلفة بلهبك وسأضعهم أمام المذبح فى معبدك.

كلا، إننى لن أغلق أبدًا بوابات حواسى. نعمة النظر والسمع واللمس سوف تحمل كلها متعتك.

نعم إن كل أوهامى سوف تحترق لتصبح شعاعًا من الفرح، وكل رغباتى سوف تنضج لتكون فاكهة الحب.

(٧٤)

النهار لم يعد، إن الظلال قد خيمت على الأرض. إنه الوقت كى أمضى لأملأ جرتى من النبع.

إن هواء المساء متلهف مع الموسيقى الشجية للماء. آه، إنه يدعونى للخروج إلى الغسق. فى الدرب الوحيد لا عابر هناك، الريح قد صعدت، والأمواج عاتية فى النهر.

لا أعرف إذا ما كنت سوف أعود إلى بيتى. ولا أعرف من الذى سوف أصادفه فى الطريق. هناك على حافة القارب الصغير الرجل المجهول يعزف الناى.

(٧٥)

إن هداياك لنا نحن البشر تكفى كل احتياجاتنا ومع ذلك نحن نهرع من جديد إليك لنطلب المزيد.

إن للنهر عمله اليومى الذى يؤديه ويسرع يجرى عبر الحقول والبساتين، غير أن جداوله تجرى بلهفة كى تغسل قدميك.

إن الوردة تجعل الهواء عذبًا بأريجها، غير أن هدفها الأخير هو أن تقدم نفسها إليك.

إن عبادتك لا تجدب هذا العالم.

من كلمات الشعراء ينتقى الناس ما قد يرضيك، غير أن ما يعنونه الأخير كله يشير إليك.

(٧٦)

نهارًا تلو الآخر، يا سيد حياتى، سوف أقف أمامك وجهًا لوجه. بيدين مكتوفتين، أوه يا سيد كل العوالم، سوف أقف أمامك وجهًا لوجه.

تحت سمائك الشاسعة فى الوحدة والصمت، وبقلب خاشع سوف أقف أمامك وجهًا لوجه.

فى هذا العالم المنشغل والذى هو لك، والذى يعج بالحركة والكفاح وما بين الحشود الغفيرة المسرعة سوف أقف أمامك وجهًا لوجه.

وعندما ينتهى عملى فى هذه الدنيا، أوه يا ملك الملوك، وحيدًا وغير قادر على الكلام سوف أقف أمامك وجهًا لوجه.

(٧٧)

إننى أعرف كربى وأقف بعيدًا – أنا لا أعرف إنك لى لأقترب. إننى أعرفك كأبى وأركع أمام قدميك – لا أدرك أن يدك هى صديقتى.

أنا لا أقف حيث نزلت وقدمت نفسك على أنك لى، هناك كى تلتصق بقلبى وكى أتخذك رفيقًا لى.

إنك الأخ بين أخوتي، غير أننى لست بحاجة إليهم، إننى لا أقتسم رزقى معهم، بل أقتسم كل ما لدى معك.

في السراء والضراء لا أقف بجانب الرجال، ولكن أقف بجانبك. إنني أنكمش كي أودع الحياة، وهكذا أغوص في المياه العظيمة لهذه الحياة.

(٧٨)

عندما كان الخلق جديدًا، لا يزال، وكل النجوم أشعت بروعتها الأولى، اجتمعت الآلهة في مجلسها في المساء وغنت، "أوه، إنها صورة الكمال! الغبطة الخالصة!"

غير أن أحدهم صرخ بغتة – "يبدو أن هنالك في مكان ما انكسارًا لسلسلة الضوء وأن أحد النجوم قد ضاع".

الوتر الذهبي لقيثارتهم توقف، وأغنيتهم توقفت، وصرخوا بغضب – "نعم، إن هذا النجم الضائع كان أفضلهم، لقد كان فيه عظمة كل السماوات!".

منذ ذلك اليوم صار البحث بلا توقف عن تلك النجمة التائهة، والصرخة تستمر من واحد إلى آخر بأن العالم بفقدها قد فقد بهجته الوحيدة!

وفقط فى عمق الصمت لليل تبتسم النجوم، وتتهامس فيما بينها – "يا لهباء جدوى هذا البحث! إن الكمال غير المنكسر يغطى العالم!".

(٧٩)

إذا لم يكن من نصيبى أن ألقاك فى هذه الحياة فلتجعلنى، إذن، فى شعور دائم بأننى قد فقدت رؤيتك – لا تجعلنى أنسى للحظة، دعنى أحمل فرع هذا الأسى فى أحلامى وفى ساعات يقظتى.

وفيما الأيام تمر فى هذا السوق المزدحم لهذا العالم ويداى تثقلان بأرباح اليوم، دعنى دائمًا أشعر بأننى لم أكسب شيئًا – لا

تدعنى أنسى ذلك للحظة، دعنى أحمل قرع هذا الأسى فى أحلامى وفى ساعات يقظتى.

عندما أجلس على قارعة الطريق، متعبًا، مرهقًا، عندما أبسط فراشى فى حضيض التراب، اجعلنى أشعر، دائمًا، بأن الرحلة الطويلة ما زالت أمامى – لا تدعنى أنسى، ولو للحظة، دعنى أحمل قرع هذا الأسى فى أحلامى وفى ساعات يقظتى.

عندما تكون غرف بيتى مزدحمة وصوت النايات والضحكات يملأ أرجاءها، دعنى أشعر دائمًا بأننى لم أدعوك أنت إلى منزلى – لا تجعلنى أنسى ولو للحظة، دعنى أحمل قرع هذا الأسى فى أحلامى وفى ساعات يقظتى.

(٨٠)

إننى مثل بقايا سحابة فى الخريف، تجوب السماء بلا فائدة ترجى، أوه يا شمسى العظيمة النور دائمًا! إن لمستك لم يذب بعد

ماؤها، لتسمح لى بأن أكون واحدًا مع نورك، وهكذا فإننى أحسب الشهور والسنين التى تفصلنى عنك.

إذا كانت هذه هى إرادتك وإذا كانت هذه هى لعبتك، إذن خذ هذا الخواء المحلق فى داخلى، لونه بالألوان، غطه بالذهب، اجعله يطفو فى هذه الريح العاصفة وانشره فى العجائب المختلفة.

ومن جديد عندما تكون هى إرادتك أن تنتهى هذه الملهاة فى الليل، لسوف أذوب وأتلاشى فى الظلام، أو ربما فى ابتسامة الصباح البيضاء، فى برودة الشفافية الخالصة.

(٨١)

فى أيام كسولة كثيرة تحسرت على الزمن الضائع غير أنه لم يكن ضائعًا أبدًا، يا سيدى. أنت قد أخذت كل لحظة من حياتى بين يديك.

مختبئًا فى قلب الأشياء أنت ترعى البذور لكى تنبت، البراعم لكى تزهر، والزهور الناضجة لكى تمتلئ بالأريج.

لقد كنت متعبًا ونائمًا فى فراشى الكسول وتخيلت بأن كل العمل قد انتهى. فى الصباح استيقظت ووجدت أن حديقتى تمتلئ بالزهور الرائعة.

(٨٢)

إن الوقت بلا حد، بين يديك، يا سيدى ليس هنالك من أحد ليحسب دقائقك.

الأيام والليالى تمر والعصور تزهر وتذوى مثل الزهور. أنت تعرف كيف تنتظر.

إن قرونك تمر ويتبع بعضها بعضًا من أجل أن تجود من صنع زهرة برية صغيرة.

نحن لا نملك الوقت لهدره، ولأننا لا نملك الوقت فإننا نتصارع للنبش عن فرصنا. إننا أفقر من أن نتأخر.

وهكذا فإنه هذا هو الوقت الذى يمضى فيما أمنحه لكل رجل عجل يطالب به، فيما مذبحك خاليًا من كل العطايا حتى آخره.

فى آخر اليوم أسرع الخطى خائفًا من أن تكون بوابتك اوصدت، غير أننى أكتشف أنه لايزال هنالك وقت.

(٨٣)

أماه لسوف أنضد عقدًا من اللؤلؤ لعنقك بدموع أساى.

إن النجوم قد جلبت خلاخيل أنوارها لكى تضعها على قدميك، غير أن ما هو لى سوف يتدلى من على صدرك.

إن الثراء والصيت يأتيان من لدنك وأنت من يتيح أو يمنع. غير أن هذا الأسى هو ملكي، تمامًا، وعندما أحضره لك كقربان تكافئنى بكراماتك.

(٨٤)

إنه قرع الانفصال ذلك الذى ينتشر عبر العالم ويمنح الولادة لأشكال بلا عدد فى السماء الشاسعة.

إنه حزن الانفصال ذلك الذى حدق فى صمت طوال الليل فى نجمة تلو نجمة ويصبح إيقاعًا ما بين حفيف الأوراق فى العتمة الممطرة لشهر يوليو.

إنه هذا الألم الذى يعم هو الذى يتعمق فى الحب والرغبات، فى المعاناة وفى السرور فى منازل البشر، وهو الذى يذوب دومًا ويسرى فى الأغانى عبر قلبى الشاعر.

(٨٥)

عندما خرج المحاربون فى البدء من قاعة سيدهم، أين خبأوا قواهم؟ أين أخفوا دروعهم وأسلحتهم؟

لقد بدوا فقراء وبلا حول ولا قوة، والسهام قد هطلت عليهم فى اليوم الذى خرجوا فيه من قاعة سيدهم.

عندما حث المحاربون الخطى عائدين، من جديد، إلى قاعة سيدهم أين أخفوا قواهم تلك؟

لقد أسقطوا بالسيوف وأسقطوا بالأقواس والسهام، كان السلام على جباهُهم وتركوا وراءهم ثمار حياتهم فى اليوم الذى حثوا الخطى عائدين فى قاعة سيدهم.

(٨٦)

الموت، خادمك، على الباب.

لقد قطع بحار الغيب وجلب نداءك إلى بيتى.

إن الليلة مظلمة وقلبى يرتجف من الخوف – غير أننى سوف آخذ المصباح، أشرع بوابتى وأنحنى له مرحبًا. إنه رسولك هذا الذى يقف عند بابى.

سوف يعود إليك منجزًا المهمة، تاركًا وراءه ظلاً دامسًا فى صباحي، وفى بيتى المنعزل سأكون أنا فقط القربان الأخير الذى أهديه لك.

(٨٧)

فى رجاء يائس أمضى لأبحث عنها فى كل زوايا غرفتي، غير أننى لا أجدها.

إن دارى صغيرة وما قد خرج منها لا يمكن أبدًا أن أعثر عليه من جديد.

غير أن قصرك المنيف بلا حدود، يا سيدى، وإلى بابك قد قصدت كى أبحث عنها. إننى أقف أمام عرشك الذهبى تحت سماء المساء وأرفع عينى بلهفة إلى وجهك.

لقد أتيت إلى حد الخلود حيث لا شيء يضيع – لا أمل، لا سعادة، لا صورة لوجه يرى عبر الدموع.

أوه، أغمس حياتى الخاوية فى هذا المحيط، نمضى بها إلى أعماق الامتلاء. دعنى أشعر لمرة بتلك اللمسة الحلوة الضائعة فى أرجاء هذا الكون.

(٨٨)

يا آلهة المعبد الخرب: إن أوتار فينا المكسورة لا تعزف مديحك بعد. الأجراس فى المساء لا تعلن عن وقت الصلوات. إن الهواء متلبد وآسن حولك.

فى عيشك المهجور تهب نسائم الربيع العذبة. إنها تجلب فوح الزهور – الزهور لم تعد توضع قرابين على مذبح عبادتك.

إن ناسكك القديم ما زال يبحث بشوق عن ما قد رفضت أن تحققيه له. فى مد المساء، وعندما النار والظلال يمتزجان بكآبة الغبار، يعود هو متعبًا إلى المعبد الخرب بجوع يشتد فى قلبه.

الكثير من أيام الاحتفالات تمر عليك فى صمت، يا آلهة المعبد الخرب. الكثير من ليالى العبادة تنقضى دون أن تضاء مصابيحك.

الكثير من الصور الجديدة يبنيها سادة الفن الماكر وتحمل إلى جدول النسيان عندما يحين وقتها.

إنها فقط آلهة المعبد الخرب تلك التى تبقى دون أن تعبد فى إهمال مميت.

(٨٩)

لا مزيد من الكلمات المزعجة والعالية الصوت منك – هكذا هى إرادة سيدى. ولذلك فإننى أتعامل بالهمس. إن كلام قلبى سيحمل فى أغنية أهمهم بها.

الرجال يسرعون إلى سوق الملك. كل الباعة والمشترين، هناك. غير أننى أتخذ رحيلى غير المنضبط فى منتصف النهار، فى ذروة العمل.

فلتجعل الزهور إذن تتفتح فى حديقتي، رغم أنه ليس أوانها، ولتدع نحل منتصف النهار يطن بطنينه الكسول.

ساعات طويلة، ومليئة قضيتها فى البحث عن الخير والشر، غير أنها الآن متعة اللهو واللعب فى أيامى الخوالى تلك التى ينشدها قلبى، ولا أعرف لماذا هذا النداء المباغت ولأى تبعات غير مجدية!

(٩٠)

فى اليوم الذى سوف يطرق فيه الموت على بابك ما الذى سيكون لديك لتقدمه له؟

أوه، سوف أضع أمام الضيف قارورة حياتى الممتلئة – لن أدعه، أبدًا، يمضى بيدين خاويتين.

كل تلك العذوبة المعتقة لكل نهارات خريفى وليالى الصيف، كل مكاسب وأرباح حياتى المنشغلة سوف أضعها أمامه فى خاتمة أيامى عندما يطرق الموت على بابى.

(٩١)

أوه أنت يا خاتمة اكتمال حياتى، أيها الموت، موتى، تعال واهمس إلى!

يومًا تلو اليوم بقيت أرتقبك، ومن أجلك تحملت أفراح وصدمات الحياة.

كل ما هو أنا، كل ما هو لدى، والذى أتمناه وكل حبى كانوا على الدوام يسيلون نحوك فى أعماق سرية. نظرة واحدة، وأخيرة من عينيك وسوف تكون حياتى ملكك للأبد.

الأزهار قد نضدت وعقد الزهور فى انتظار العريس. بعد العرس سوف تغادر العروس بيتها وتقابل سيدها لوحدها فى عزلة الليل.

(٩٢)

إننى أدرك بأن اليوم سيجىء عندما يخبو وينطفئ نظرى فى هذا العالم، وأن الحياة سوف تستأذن للانصراف فى صمت، ساحبة الستارة الأخيرة على عينى.

ومع ذلك فإن النجوم سوف ترقب الليل، والصباح سوف ينهض مثل عادته، والساعات ستتلاحق مثل موجات البحر ناشرة المتعة والألم.

عندما أتأمل هذه النهاية للحظاتي، فإن حاجز الزمن ينكسر وأرى تحت نور الموت دنياك بثرواتها المهملة، نادر هو كرسيها الوضيع، نادر هو دناءة حيواتها.

الأشياء التى صبوت لها دون أن أنالها والأشياء التى ملكتها – دعها كلها تعبر. لا تجعلنى أمتلك شيئًا بصدق سوى الأشياء التى دفعتها، جانبًا، دائمًا وأغفلت عينى عنها.

(٩٣)

لقد أذن لى بالانصراف. ودعونى وادعو لى يا أخوتى! إننى أنحنى لكم جميعًا وأستأذن فى الانصراف.

ها أنا أعيد مفاتيح بابى – وأتخلى عن كل حقوقى فى بيتى. إننى أطمع، فقط، فى بعض الكلمات الطيبة منكم.

لقد كنا جيرانًا لزمن طويل، غير أننى أخذت أكثر مما أعطيت. الآن اليوم قد حان والقنديل الذى أضاء زاويتى المعتمة قد انطفأ. لقد وصل الاستدعاء وأنا جاهز لرحلتى.

(٩٤)

فى وقت رحيلى هذا، ادعو لى يا رفاقى! إن السماء تشع بالفجر ودربى جميل يرقد أمامى.

لا تسألوا ما الذى هو لدى لآخذه إلى هناك. إننى أبدأ رحلتى بيدين خاويتين وقلب يرتجى.

لسوف أرتدى حلة عرسى، إن ردائى ليس هو بالأحمر – البنى الذى يرتديه المسافر، ورغم أن هنالك أخطارًا فى الطريق فلا خوف فى رأسى.

إن نجمة المساء سوف تبزغ عندما تتم رحلتى وألحان المغيب سوف تنطلق من بوابة ملكى.

(٩٥)

لم أكن واعيًا بتلك اللحظة التى اجتزت فيها أولاً عتبة هذه الحياة.

ما تلك القوة التى جعلتنى أتفتح فى هذا الغموض الشاسع مثل برعم فى الغابة فى منتصف الليل!

عندما وفى الصباح نظرت إلى النور أحسست للتو بأننى لست بالغريب فى هذا العالم، وأن الذى لا يوصف ولا اسم له ولا شكل قد أخذنى بين ذراعيه فى شكل أمي.

وهكذا، حتى فى الموت اللامسمى ذاته سوف يتبدى لى كما قد عرفته للأبد. ولأننى أحب هذه الحياة، أعلم أننى سوف أحب الموت، أيضًا. إن الطفل يصرخ عندما تأخذه الأم عن ثديها الأيمن، وفى اللحظة التالية يجد عزاءه فى الثدى الأيسر.

(٩٦)

عندما أمضى لتكن هذه هى كلمتى الأخيرة، إن ما قد رأيته لا يمكن نقله.

لقد تذوقت من رحيق العسل المخبوء لزهر اللوتس هذا الذى يمتد فى محيط الضياء، وهكذا فقد حلت علىَّ البركة – لتكن هذه هى كلمتى الأخيرة.

فى بيت اللهو هذا للأشكال غير المحدودة قد نلت حظى من اللهو وها هنا اصطدت نظرة إليه هو الذى لا شكل له.

إن جسدى بكامله وأطرافى قد اهتزت للمسته هو الذى يتجاوز اللمس، وإذا كانت النهاية ستأتى إلى هنا، دعها تأتى – فلتكن هذه هى كلمتى للوداع.

(٩٧)

عندما كان لعبى معك لم أتساءل، أبدًا، عن من تكون. لم أعرف الحياء ولا الخوف، كانت حياتى صاخبة.

فى الصباح الباكر كنت تدعونى من نومى كرفيق لى وتقودنى راكضًا من ممر إلى ممر فى الغابة.

فى تلك الأيام لم أهتم مطلقًا بأنّ أعرف معانى الأغانى التى غنيتها لى. صوتى فقط قلدها، وقلبى تراقص لألحانها.

الآن، وقد انتهى وقت اللهو، ما هذه الرؤية المفاجئة التى قد ملأتنى؟ إن العالم بعيونه الساجدة لقدميك يقف مسحورًا بكل نجومه تلك الصامتة.

(٩٨)

سوف أزينك بنياشين، وعقود الزهور لهزيمتى. إنه، أبدًا، ليس بمستطاعى أن أهرب دون أن أهزم.

إننى أعرف، بالتأكيد، بأن كبريائى سوف يمضى إلى الحائط، وأن حياتى سوف تتفجر ببحيرات من الألم العصبى، وأن قلبى الخاوى سوف ينتحب ويدمع بموسيقى مثل عود خيزران خاوٍ، وأن الحجر سوف يذوب بالدمع.

إننى لأعرف بالتأكيد أن البراعم المئة من زهر اللوتس لن تبقى مغلقة للأبد وأن السر الذى يخفى عسله سوف يصبح عاريًا.

من السماء الزرقاء عين سوف تطل وتحدق بى وتستدعينى فى صمت. لا شىء سوف يبقى لى، لا شىء على الإطلاق، والموت الخالص سوف أتلقاه عند قدميك.

(٩٩)

حينما أتخلى عن الدفة أدرك أن الوقت قد أزف لك لكى تأخذها. كل ما يتوجب فعله سوف يتم دونما تأخير. لا فائدة من هذه المقاومة.

إذن اسحب يديك وتحمل بصمت هزيمتك، يا قلبى، وفكر في مدى حسن حظك فى أن تجلس ساكناً تمامًا حيثما تم وضعك.

هذه هى قناديلى تنطفئ كلما نفخت فيها الريح نفخة صغيرة، ومحاولاً أن أشعلها أنسى كل شيء آخر مرة، تلو الأخرى.

غير أننى سأكون حكيمًا هذه المرة وأنتظر فى الظلام، باسطاً بساطى على الأرض، وحينما ترغب يا سيدى، تعال بصمت واتخذ مقعدك.

(١٠٠)

إننى أغوص فى أعماق محيط الأشكال، آملاً فى أن أربح اللؤلؤة الكاملة لما لا شكل له.

لا مزيد من الإقلاع من ميناء إلى ميناء بهذا القارب الرث والمنهك. لقد مضت تلك الأيام منذ زمن طويل، عندما كانت رياضتي هى أن تتقاذفنى الأمواج.

والآن أنا بشوق لكى أموت فيما لا موت له.

إلى بهو الجمهور عند الهاوية التى لا قرار لها حيث تتورم موسيقى الأوتار غير المهيأة سوف آخذ قيثارة حياتى هذه.

سوف أدوزنها إلى ألحان الأبد، وعندما تكونين قد ذرفت آخر بوحك، استلقى فى صمت يا قيثارتى عند أقدام الصمت.

(١٠١)

طوال حياتى كنت أنشدك بأغنياتى. لقد كنت أنت الذى قادنى من باب إلى باب، ولديهم كنت أبحث عنك، باحثًا ومنقبًا دنياى.

لقد كانت أغنياتى تلك التى علمتنى كل الدروس التى قد عرفتها، لقد أرتنى دروبًا سرية، لقد جلبت إلى نجومًا كثيرة فى أفق قلبى.

لقد دلتنى طوال الأيام إلى الأسرار الغامضة لبلاد المتعة والألم، وأخيرًا، إلى بوابات أى قصر قد جلبتنى فى المساء عند نهاية رحلتى؟

(١٠٢)

لقد تفاخرت بين الرجال بأننى قد عرفتك. إنهم يرون صورك فى كل أعمالى. يأتون إلى يتساءلون، "من هو؟" ولا أعرف كيف أجيبهم. أقول، "فى الواقع، لا أستطيع أن أخبركم". يلوموننى ويذهبون ناقمين. وأنت تجلس هناك وتبتسم.

أضع حكاياتى عنك فى أغانى خالدة. السر يتسرب من قلبى. يأتون إلى ويسألون، "خبرنى عن كل معانيك". وأنا لا أعرف كيف أجيبهم. أقول، "آه، من الذى يعرف ما تعنيه!". وهم يبتسمون ويذهبون بنقمة خالصة. وأنت تجلس هنالك وتبتسم.

(١٠٣)

فى تحية واحدة إليك، يا إلهى، دع كل حواسى تتوزع وتلمس هذا العالم عند قدميك.

مثل سحابة مطر فى يوليو معلقة عن قرب بهمها من الأمطار المثقلة بها دع كل عقلى ينحنى عند بابك فى تحية واحدة من أجلك.

اجعل كل أغنياتى تجتمع وتجمع كل أوتارها المتنوعة فى موجة واحدة لتسبح نحو بحر الصمت فى تحية واحدة لك.

مثل سرب من طيور الكركى التى تحن إلى أوطانها محلقة طوال الليل والنهار نحو أعشاشها فى الجبال، دع كل حياتى تتخذ رحلتها إلى بيت ديمومتها فى تحية واحدة من أجلك.

المؤلف فى سطور:

رابندرانث طاغور

شاعر وفيلسوف هندى. ولد عام ١٨٥٧ فى القسم البنغالى من مدينة كلكتا، وتلقى تعليمه فى منزل الأسرة على يد أبيه ديبندرانات وأشقاؤه ومدرس يدعى دفيجندرانات الذى كان عالمًا وكاتبًا مسرحيًا وشاعرًا. درس طاغور اللغة السنسكريتية لغته الأم وآدابها واللغة الإنجليزية، ونال جائزة نوبل فى الآداب عام ١٩١٣، وأنشأ مدرسة فلسفية معروفة باسم "فيسفا بهاراتى" أو الجامعة الهندية للتعليم العالى فى عام ١٩١٨ فى إقليم شانتى نيكتان بغرب البنغال.

من أهم أعماله:

-(جيتانجالى) أو القربان الشعرى
-جورا (رواية)
-كتب البريد (مسرحية)

وقد توفى طاغور عن عمر يناهز ٨٤ عامًا، وذلك فى عام ١٩٤١.

المقدم فى سطور:

ويليم بتلر ييتس

شاعر أيرلندى وناشر، يعد واحدًا من أعظم الشعراء الذين كتبوا باللغة الإنجليزية، وقد حاز على جائزة نوبل للأدب عام ١٩٢٣. ولد ويليم بتلر ييتس فى يونيو عام ١٨٦٥ فى مدينة (دبلن)، وكان والده محاميًا ومن رسامى ما قبل الرافائيلية. فى عام ١٨٦٧ تبعته العائلة إلى لندن واستقرت فى (بيدفورد بارك)، وفى عام ١٨٨١ عادوا إلى دبلن حيث درس ييتس فى مدرسة (الميتروبوليان) للأدب. وككاتب كان أول ظهور له عام ١٨٨٥ حينما طبع أول أشعاره (ذكرى جامعة دبلن). وفى عام ١٨٨٧ عادت العائلة إلى (بيدفورد بارك)، وفرغ ييتس نفسه للكتابة.

فى عام ١٨٩٦ عاد ييتس ليستقر بصورة دائمة فى موطنه الأصلى، وهناك أعاد تنظيم المجمع الأدبى الأيرلندى فى دبلن، والذى كان يهدف إلى تعزيز المكتبة الأدبية الأيرلندية. وفى عام ١٨٩٧ التقى إيزابيلا أوغستا والليدى جريجورى اللتين أسس معهما المسرح الأدبى الأيرلندى، وقد عمل مديرًا لهذا المسرح حتى نهاية حياته. وقد كتب بضع مسرحيات.

المترجمة فى سطور:

ظبية خميس محمد جاسم المهيرى

- ولدت فى مدينة أبو ظبى – دولة الإمارات العربية المتحدة ١٧ أغسطس ١٩٥٨م.
- تعمل دبلوماسية فى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية أديبة وكاتبة.
- كاتبة مقال وزوايا صحفية فى عدد من المجلات والصحف منها: (مجلة المجلة "لندن"، جريدة الخليج "الشارقة"، جريدة الوحدة، جريدة الفجر، جريدة الاتحاد "أبوظبى"، مجلة الراصد "لندن"، جريدة الزمان "لندن"، مجلة المرأة اليوم "أبوظبى"، جريدة القاهرة "مصر"، جريدة الوطن "الدوحة"، جريدة القبس "الكويت".... وغيرها.

أبحاث ومطبوعات:

- أبحاث فى مجال حوار الحضارات تم المشاركة بها فى عدد من الفعاليات: فى القاهرة، تونس، سويسرا، الهند، بريطانيا.. وغيرها.

- أبحاث فى مجال دراسات المرأة.
- مقالات ودراسات سياسية فى المطبوعات والدوريات.
- مقالات ودراسات بحثية ونقدية أدبية فى التراث والأدب المعاصر العربى والعالمى.

إصدارات:

- **ترجمات أدبية وفكرية:**

١- تعويذة الحسى، للمؤلف ديفيد أبرام.

٢- أسباب للانتماء، للمؤلف رانجيت هوسكوتى.

٣- طفل الفجر (رواية) لغوتاما شوبرا.

٤- فتاة شانغهاى، للمؤلفة هي وى.

٥- فيرونيكا تقرر أن تموت، للمؤلف باولو كويلهو.

٦- الشعرية الأوروبية وديكتاتورية الروح، لمجموعة من المؤلفين.

٧- الشعر الجديد، اختيارات للكاتبة.

- **دراسات:**

١- قفطان الذاكرة (دراسة فى التراث العربى).

٢- صنم المرأة الشعرى.

٣- الذات الأنثوية والإبداع.

٤- صاحبة الزمان، الجزء الأول، والجزء الثانى.

- **مجموعة قصصية:**

١- ابتسامات ماكرة.

٢- خلخال السيدة العرجاء.

٣- عروق الجير والحنة.

- **مجموعات شعرية:**

١- رسائل حب: شغف.

٢- روح الشاعرة.

٣- درجة حميمة.

٤- خمرة حب عادى.

٥- السلطان يرجم امرأة حبلى بالبحر.

٦- صبابات المهرة العمانية.

٧- قصائد حب.

٨- أنا المرأة، الأرض، كل الضلوع.

٩- خطوة فوق الأرض.

- شاركت فى عدد كبير من المؤتمرات، والملتقيات، والمهرجانات السياسية والثقافية حول العالم.

- تم ترجمة عدد من أعمالها إلى عدد من اللغات منها: الإنجليزية، الألمانية، الفرنسية، الدنماركية، الإسبانية، الهندية، الروسية وغيرها.
- أول امرأة سفيرة لجامعة الدول العربية، وكذلك أول امرأة إماراتية تتقلد منصب سفيرة على الإطلاق.

التصحيح اللغوى: فاطــمة قنديل

الإشراف الفـــنى: حـــسن كامـــل

من لغة السحاب و الأرض ينبثق طاغور، ملهِمًا أو ملهَمًا. يشبه طين بلاده، ويشبه ندف السماء، وصوته جلى لكل روح. وكلماته تواضع المحبة فى هذا الكون، هنالك بشر للعالم أجمع. وطاغور هو أحدهم.

وكتابه هذا صلاة طويلة بعنوان "قرابين الغناء" ترجمه بنفسه من اللغة البنغالية إلى اللغة الإنجليزية، وحاز على جائزة نوبل للآداب بسبب هذا الكتاب، إنه كتاب من كتب الصمت الجليل، إنه همس. وإشارات، وظل من ظلال الروح.



